الدور السياسي والحضاري
للصاحب بن عباد في الدولة البويهية
(٣٦٠هـ - ٩٧٠م/ ٣٨٥هـ - ٩٩٥م)

إعداد الباحثة

فاطمة الزهراء عبد العزيز فرج أبو العنين

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بكلية الدراسات الإنسانية

جامعة الأزهر - تفهنا الأشراف

الدور السياسي والحضاري للصاحب بن عباد في الدولة البويهية (٣٦٠هـ - ٩٧٠م/ ٣٨٥هـ - ٩٩٥م)

فاطمة الزهراء عبد العزيز فرج أبو العنين

قسم التاريخ الإسلامي بكلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر – تفهنا الأشراف

الملخص:

لما كانت الوزارة واحدة من المناصب المهمة في الدول، بل هى عماد الوظائف أجمعها، نظرًا لخطورة مهامها، وانعكاسها على الحالة العامة للبلاد بما يحقق الارتقاء والتنمية، فقد حرص الملوك والسلاطين على ألا يعتلي هذه الوظيفة إلا الأكفاء من الرجال، أصحاب العزم والجلد، ممن يقدرون أهمية ما أسند إليهم من تكليف يتبعه بالضرورة عمل دائب ودائم.

والوزير هو المساند والمؤيد للأمير أو السلطان، فلا يتسنى للأمراء والسلاطين أن ينفردوا بالحكم، ومتابعة كل شئونه بمفردهم دونما تفريط، إذ الأعباء كثيرة، والحمل ثقيل، ومباشرة الواحد له يؤدي به إلى الوقوع فى الخطأ، وإن لم يكن مقصودًا.

ومن أشهر رجال العصر البويهي، الوزير الصاحب إسماعيل بن عباد، وزير بني بويه، الذي أثر عنه قيامه بمهام وظيفة الوزارة خير قيام، مع المتابعة والإشراف، بل والمشاركة في تلك المهام، السياسية منها والحضارية، بالإضافة إلى ما أثبتته له المصادر التاريخية من أيادٍ بيضاء في أبواب البر والإحسان، فكانت مُدة وزارته محل بحث ودراسة، للتعريف به، وللاطلاع على ما قام به من منجزات أثناء تلك المُدة.

الكلمات المفتاحية: السياسة – الصاحب بن عباد – البويهية - الوزير

The political and civilizational role of Sahib bin Abbad in the Buyid state (360 AH - 970 CE / 385 AH - 995 CE)

Fatima Alzahraa Abdul aziz Faraj Abu Alenin
Department of Islamic History at the College of Human Studies Al-Azhar University - Tafhna Al-Ashraf

Abstract:
Since the Ministry was one of the important positions in the countries, but rather the mainstay of all the jobs, given the seriousness of its tasks, and its reflection on the general situation of the country in a way that achieves advancement and development, the kings and sultans were keen that only the most competent men, those of determination and fortitude, who could afford The importance of the assignment assigned to them is necessarily followed by constant and permanent work.
The minister is the supporter and supporter of the prince or the sultan, so the princes and sultans are not willing to be alone in ruling, and follow all his affairs on their own without negligence, as the burdens are many, the burden is heavy, and directing one to him leads him to fall into error, even if it is not intended.
Among the most famous of the ministers is the owner, Minister Ismail bin Abbad, the minister of Bani Boyah, who influenced him to carry out the tasks of the ministry's job well, with follow-up and supervision, and even participation in those tasks, both political and administrative, in addition to what historical sources have proven to him from white hands in the doors Righteousness and charity, so the period of his ministry was the subject of research and study, to define him, and to view the achievements he had made during that period.

Keyword: Politics - Saheb bin Abbad - Buyidiyah - Minister

المقدمة

خلد التاريخ ذكر رجال بذكر أعمالهم، وحفظ لهم ماضيهم بما حواه، وكانت للوظائف التي تقلَّدها هؤلاء الرجال، ونهجهم فيها له أكبر الأثر في تخليد الذكر والأثر، فذاع صيتهم، واشتهر أمرهم بما قدموه في مجالاتهم، ولعل أهم هذه الوظائف وظيفة الوزارة، التى بها يستقيم الملك أو يضطرب، ويصلح حال الرعية أو يسوء، وترتقي البلاد أو تنحدر، وذلك لعظم مهام هذه الوظيفة.

وقد قدر الحكام أهمية هذه الوظيفة، فعمدوا إلى اختيار صاحبها بعناية ودقة، واشترطوا فيه شروطًا تسير بصاحبها إلى مصاف العظماء، الأجلاء، الأكفاء، وكثير من الوزراء من بلغ هذا المقام، بما أخذ به نفسه من القيام بما أسند إليه خير قيام، وكثير منهم معروف ومشهور، والبعض ما زال مغمورًا، فاستحق إفراده بالبحث والدراسة، ومن هؤلاء الوزراء كان الصاحب بن عباد، الذي طبقت شهرته الآفاق في مجال الأدب والعلم، فعرف بين الأدباء والعلماء، أما تاريخه في مجال الوزارة بما تشتمل عليه من مهام سياسية وحضارية وغير ذلك، فلم ينل نصيبه من ذلك بالبحث والدراسة، ومن هنا جاء اختيار مُدة وزارته لتكون محل البحث.

وتهدف الدراسة إلى إيضاح الدور الذي لعبه الصاحب بن عباد في الدولة البويهية، كما أنها تلقي الضوء على الحياة السياسية، وعلى طبيعة الحضارة الإسلامية في ذلك العهد.

ويقوم منهج البحث في هذه الدراسة على أساس جمع المادة العلمية من مظانها الأساسية، ثم تصنيفها في ضوء المعطيات التاريخية، حيث اعتمدت بشكل كبير على المصادر الأصلية القريبة من الدراسة.

ولعل أبرز الصعوبات التي واجهت البحث قلة المادة التاريخية، وأحيانًا شحها، والتي حاولت الاستفادة منها قدر الإمكان.

وقد قمت بتقسيم البحث إلى عدة عناصر، جاء الأول منها بعنوان: **نشأة الصاحب بن عباد**، تناولت فيه التعريف به وبداياته وما تبوأه من مناصب، ثم جاء العنصر الثاني ليتناول **دوره السياسي والعسكري**، والذي اشتمل على مشاركاته السياسية، وأعماله العسكرية، ثم العنصر الثالث، وجاء بعنوان: **دوره الحضاري**، حوى ما أصدره الصاحب بن عباد من قرارات، وما قام به من أعمال تخدم المجال الإداري، أما العنصر الرابع، يبحث في **الجانب المالي**، والخامس اشتمل على الحديث عن **دوره العلمي**، ومعرفة مصنفاته، وما صُنف له، وجاء العنصر السادس ليتناول الحديث عن **آثاره المعمارية**، ثم العنصر السابع الذي يتكلم عن مآثره في مجال **البر والإحسان** وتأليف القلوب، وتناول العنصر الثامن **وفاته**، وختمت البحث **بخاتمة** بها أهم ما تم التوصل إليه من نتائج، وأخيرًا **ثبت المصادر والمراجع** التي تم الاعتماد عليها.

والله من وراء القصد .... وهو يهدي السبيل

الدور السياسي والحضاري للصاحب بن عباد في الدولة البويهية

(٣٦٠هـ - ٩٧٠م/ ٣٨٥هـ - ٩٩٥م)

كان العرب في الجاهلية وفي العصر الإسلامي يعرفون كلمة وزير، لكنهم لم يريدوا بها المعنى الاصطلاحي الذي عرفوه في العصر العباسي، بل أرادوا بها النصير والمشير، فكان للنبي وللخلفاء الراشدين، ولبني أمية أعوان ومستشارون يقومون بأعمال الوزراء، ولم يطلق على واحد منهم لقب وزير. وهي بهذا المعنى وردت في القرآن الكريم على لسان سيدنا موسى عليه السلام في قوله: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي *هَارُونَ أَخِي ﴾[١]، إلا أن الوزارة لم تَسْتَوِ قواعدها، وتتقرر قوانينها إلا في دولة بني العباس، أما قبل ذلك فلم تكن مقننة القواعد، بل كان لكل واحد من الملوك أتباع وحاشية، فإذا حدث أمر استشار ذوي الآراء الصائبة الذين كان يطلق على الواحد منهم كاتبًا أو مشيرًا، فلما ملك بنو العباس وتقررت الوزارة سمي صاحبها وزيرًا[٢].

والوزارة، هى مقود الضر والنفع، ولا يستغني الأمير والحاكم عن الوزير، إذ هو لسانه، وعينه، ومرآته، ووقايته[٣]، وقد قيل فيمن يتبوأ وظيفة الوزارة:".. إن الملك زينته العمال، .... وإن على رأس كل العمال

---

(١) سورة: طه، الآيتان (٢٩، ٣٠)

(٢) ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية. دار المعارف، مصر، د. ت، ص ١٥٠.

(٣) محمد غريط: فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان. تحقيق: عبد القادر سعد، عبد المجيد خبالي، ط١، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص١٧.

والمتصرفين وزيرًا، فحين يكون الوزير سيئًا خائنًا ظالمًا، متطاولاً، يكون العمال جميعهم كذلك، بل أسوأ وأكثر خروجًا على القواعد، ... كما أن الوزير الصالح يجعل سمعة مليكه وسيرته حسنتين، فما الملوك العظام الذين دان لهم العالم والذين سوف تظل أسماؤهم مقترنة بذكر الخير إلى يوم القيامة، إلا أولئك الذين كان لهم وزراء أخيار"[١].

وقد كان للوزراء أعوان يسمون الكتاب، وكانت طائفة الكتاب هذه تؤلف وحدة على رأسها الوزير، بل تتدرج في الرقي إلى الوزارة معتمدة على كفاءتها وبلاغتها[٢]، وصار في الغالب لا يتولى الوزارة إلا من أخذ من الأدب بنصيب[٣]، وأصبح من المتبع أن يختار الوزير من بين المثقفين وبالتحديد من طبقة الكتاب.

ويبدو أن اختيار الوزير من هذه الطبقة بالذات يرجع إلى أن الكاتب كان يتمتع –بالإضافة إلى ثقافته الأدبية– بخبرات إدارية أتيحت له عن طريق تدرجه في أعمال دواوين الدولة، بحيث أصبح على دراية تامة بالشئون الإدارية والمالية التي يرتكز عليها أساسًا منصب الوزير[٤].

---

(١) الطوسي، نظام الملك: سير الملوك أو سياست نامة، ترجمة: يوسف بكار، ط١، دار المناهل، بيروت، لبنان، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٢٠٧، ٢١٠.

(٢) ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية، ص ١٥٠.

(٣) محمد غريط: فواصل الجمان، ص١٧.

(٤) بدوي أحمد طبانة: الصاحب بن عباد الوزير الأديب العالم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، ص٣٢، محمد مسفر الزهراني: نظام الوزارة في الدولة العباسية، ٣٣٤ – ٥٩٠هـ (العهدان البويهي والسلجوقي)، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٨١.

لذا، فيراعى فيمن يتولى الوزارة عدة أوصاف منها: الأمانة، وصدق اللهجة، وقلة الطمع، كما يجب أن يسلم فيما بينه وبين الناس من عداوة وشحناء، وأن يكون ذكورًا لما يؤديه إلى الخليفة وعنه؛ لأنه شاهد له وعليه، كذلك يجب أن يتوافر فيه الذكاء والفطنة، وأن لا يكون من أهل الأهواء(١)، وعليه أن يكون نقي الدين، حسن الاعتقاد، متمذهبًا بأحد المذاهب الفقهية، كفؤًا، حسن التدبير والمعاملة، كريمًا، محبًّا للملك"(٢).

أولاً: نشأة الصاحب بن عباد:

كان للوزارة في النصف الأول من العهد البويهي(٣) شأن كبير، فقد شارك الوزراء مشاركة فعالة في إدارة شئون الدولة، وكان أمراء بني بويه

---

(١) الماوردي، أبو الحسن على بن محمد بن حبيب: الأحكام السلطانية والولايات الدينية . تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، الكويت، دار ابن قتيبة، ط١، سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص٣٥.

(٢) الطوسي: سير الملوك، ص٢١٠، ٢١١.

(٣) العهد البويهي: المقصود به حكم آل بويه، وهم من الديلم، وقيل: إن نسبهم يرتفع إلى ملوك الفرس، وإنهم ليسوا من الديلم، وإنما سموا بالديلم لأنهم سكنوا بلادهم، وآل بويه ينتسبون إلى جدهم أبي شجاع بويه، الذى رأى رؤية، فسرها له أحد المفسرين بأن أبناءه الثلاثة يملكون الأرض ومن عليها، ويعلو ذكرهم الآفاق، وقد تحقق ذلك، وكان مبدؤه عندما دخل أبناء بويه في سلك الأجناد، وأصبحوا ضمن العساكر، وما زالوا يتنقلون في خدمة ملوك العجم من واحد إلى واحد حتى ارتفع حال عماد الدولة بن بويه، وتملك بلاد فارس، فكان عماد الدولة أول ملوكهم، وقد ملك بعد عماد الدولة أخوه ركن الدولة، ثم معز الدولة، وهكذا واحدًا بعد واحد، حتى انقضت دولتهم. "ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ص٢٤٩، ٥٠، النويري، أحمد ابن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط٣، دار الكتب والوثائق ==

يعتمدون كثيرًا على وزرائهم في تنفيذ سياستهم إداريًّا وعسكريًّا، واستطاع هؤلاء الوزراء بما لديهم من كفاية سياسية وإدارية أن يكسبوا ثقة الأمراء البويهيين، فضلاً عن ثقة الناس وتقديرهم، فحفظوا بذلك مراكزهم الرفيعة، ومارسوا أعمال الوزارة بحرية تامة، وكان لحسن علاقتهم بالأمراء البويهيين أثر كبير في رفع شأنهم، وزيادة هيبتهم في نفوس الجند والرعية(١).

القومية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ج٢٦، ص١٦٤، ١٦٥، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ج٤، ص٤٣١، المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: السلوك لمعرفة دول السلوك، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧م، ج١، ص٢٥، ٢٦، العيني، بدر الدين محمود بن أحمد: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، السنوات ٣٣١-٤٣٠هـ، مخطوطة رقم ٢٩١١، محفوظة بمتحف طوب قابو، مكتبة أحمد الثالث، استانبول، تركيا، تاريخ النسخ:٨٣١هـ، بخط المؤلف، ج١، لوحه ٨٥، خواندمير، محمد بن خاوند شاه: روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفا، ترجمة: أحمد عبد القادر الشاذلي، ط١، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص١٨١: ١٨٣، القرماني، أحمد بن يوسف: أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ. تحقيق: أحمد حطيط، فهمي سعد، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٢م، ج٢، ص٤٤٧، حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٣٨٨، عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٢م، ص١٩٠".

(١) مسفر الزهراني: نظام الوزارة، ص٧٤.

وقد قيل: " .... إن لكل زمن رجالاً عمرت بهم أندية الأدب، وازدهت بهم وجوه الرتب"(١)، وما أحسن أن يكون الوزير من صُلب وزير، فذا أفضل وأهيب وأبرك"(٢).

هكذا كان إسماعيل بن عباد بن عباس، الوزير، ابن الوزير، ابن الوزير(٣)، إذ كان والده أبو الحسن عباد بن العباس بن عباد الطالقاني(٤)

(١) محمد غريط: فواصل الجمان، ص١٦.

(٢) الطوسي: سير الملوك، ص٢١٠، ٢١١.

(٣) ياقوت الحموي، أبو عبد الله: معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب. تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م، ج٢، ص٦٩٦، إسماعيل البغدادي: هدية العارفين. أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إستانبول، ١٩٥١م، مج١، ص٢٠٢، عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م، ج١، ص٣٦٧.

(٤) السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد: الأنساب. تحقيق: عبد الله عمر البارودي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨م، ج٤، ص٣٠.

وزيرًا لركن الدولة[١] بن بويه[٢]، وكان يلقب بالأمين[٣]، دينًا، خيرًا، من أهل العلم والفضل[٤]، وكان مقدمًا في صناعة الكتابة، وكتب لركن الدولة[٥]، وقد

(١) ركن الدولة. السلطان ركن الدولة أبو علي الحسن بن بويه الديلمي، صاحب أصبهان وبلاد العجم، كان ملكًا سعيدًا، وولى خمسًا وأربعين سنة، وخضعت له الرعية، ثم قسم ممالكه على أولاده، توفي في ٣٦٦هـ/٩٧٦م، وله ثمانون سنة. "الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوس، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ، ج١٦، ص٢٠٣".

(٢) ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م، ج١، ص٢١٠، ابن الدمياطي، أحمد بن أيبك بن خير الله: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد. تحقيق قيصر أبو فرح دي – فل، ط٢، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ٨٦، ابن أبي الوفاء، عبد القادر محمد القرشي: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد، كتب خانة، كراتشي، د. ت، ج١، ص٦٨.

(٣) آقا بزرك الطهراني: نوابع الرواة في رابعة المئات. تحقيق: علي تقي فنروي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م، ج١، ص٦٢.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٢، ص٦٦٣، العاملي، محسن الأمين: أعيان الشيعة. تحقيق: حسن الأمين، طـ ٥، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، مج ١١، ص٤٤٧.

(٥) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٦٦٣، عباس القمي: الكنى والألقاب، ط٥، مكتبة الصدر، طهران، ١٢٥٩م، ج٢، ص٤٠٤، العاملي: أعيان الشيعة، مج١١، ص٤٤٧، عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج١، ص٣٦٧.

روى عنه ابنه الصاحب[١]، وذكر عن عباد أنه كان على مذهب أبي حنيفة[٢]، وأنه لا يشرب النبيذ، فلما سئل عن ذلك قال: "تركته لله إجلالاً وللناس جمالاً"[٣].

(١) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: الوافي بالوفيات. تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج٩، ص٧٨، حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله العثماني المعروف بكاتب جلبي: سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، استانبول، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، ٢٠١٠م، مج١، ص٣١٨، الخوانساري، الميرزا محمد باقر الموسوي: روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، المطبعة الحيدرية، طهران، ١٣٩٠هـ، ج٢، ص٢٠.

(٢) أبو حنيفة، القاضي النعمان بن أبي عبد الله محمد بن منصور، ويقال له أبو حنيفة المغربي، وأبو حنيفة الشيعة، كان مالكيًا أولاً، ثم صار إمامًا للدعوة الإسماعيلية، وصنف على طريق الشيعة كتبًا، منها: كتاب دعائم الإسلام، كان من أهل القرآن والعلم، فقيه، رحل من إفريقية إلى مصر، ولازم المعز الفاطمي، ومات في ٣٧٤هـ/٩٨٤م. "القمي: الكنى والألقاب، ج٢، ص٩٨، ١٠٠".

(٣) ابن أبي الوفاء: طبقات الحنفية، ج١، ص٢٦٨.

وكذلك ذُكر أنه كان معتزليًا[١]، وصنف عباد كتابًا في مذهب الاعتزال، فقد نسب كتاب أحكام القرآن الذي ينصر مذهب الاعتزال إليه، وليس للصاحب ابنه، بل هو فقط كان محفوظًا في دار كتب الصاحب[٢].

وتوفي أبو الحسن عباد والد الصاحب في ٣٣٤هـ/٩٤٥م، أو ٣٣٥ هـ/ ٩٤٦م[٣]، وقيل بل توفي في ٣٨٥هـ/٩٩٥م، وهو العام نفسه الذي توفي فيه ابنه الصاحب[٤]، وأنه توفي بعد ابنه بمدة يسيرة[٥].

---

(١) المعتزلة: يُسمون أصحاب العدل، والتوحيد، ويلقبون بالقدرية، والعدلية، وهم يقولون بأن الله تعالى قديم، ولكنهم قد نفوا الصفات القديمة أصلاً، فقالوا: "هو قائم بذاته"، ونفي التشبيه عنه، وأن العبد قادر خالق لأفعاله، وإمام المعتزلة واصل بن عطاء، والذي اختلف مع أصحاب الحسن في حكم مرتكب الكبيرة، فاعتزل إلى أسطوانة في المسجد، فقال الحسن: "اعتزلنا واصل"، فسمي وأصحابه بالمعتزلة. "الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل. تحقيق: محمد بن فتح الله بدران. ط١، مطبعة الأزهر، القاهرة، ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م، ج١، ص٦١: ص٦٨".

(٢) السمعاني: الأنساب، ج٤، ص٣٠، الصفدي: الوافي، ج٩، ص٧٧، بزرك الطهراني: نوابغ الرواة، ج١، ص١٤٤.

(٣) السمعاني: الأنساب، مج٤، ص٣٠، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص٢١٠، بزرك الطهراني: نوابغ الرواة، ج١، ص٦٢.

(٤) الصفدي: الوافي، ج٩، ص٧٧، الخوانساري: روضات الجنات، ج٢، ص٢٠، القمي: الكنى، ج٢، ص٤٠٣، العاملي: أعيان الشيعة، مج١١، ص٤٤٧.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، من الطبقة الثالثة عشرة حتى الطبقة الرابعة والعشرين من التابعين، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤، مج٣، ص١٠٦٦، ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ط٢، مصورة عن الطبعة الأولى، مطبعة دار الكتب والوثائق ==

كذلك أُثر عن جد الصاحب أنه كان وزيرًا، وقد قيل شعرًا في ذلك جاء فيه:

ورث الوزارة عن أبيه وجده موصولة الإسناد بالإسناد

يروى عن العباس عباد وزا رته وإسماعيل عن عباد[١]

مولد الصاحب:

اختلف المؤرخون حول العام الذي ولد فيه الصاحب، فمنهم من قال إنه ولد في سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م[٢]، وهناك من قال بأنه ولد في ٣٢٦هـ/٩٣٧م[٣]، والذي عليه أكثر المؤرخين أن مولده كان في

القومية، مركز تحقيق التراث، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ج٤، ص١٧٢، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٩، ص٧٧.

(١) الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل: تحفة الوزراء المنسوب للثعالبي، تحقيق: ابتسام مرهون الصفار، ط١، جدارا، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ١٤٢٩/٢٠٠٩م، ص١٩٤، ١٩٥، ولم يُذكر عن جده بأي وزارة عمل، ولا لمن تولاها.

(٢) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط١، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٢٦هـ، ص١٩٦، العاملي: أعيان الشيعة، مج٥، ص١١٠.

(٣) أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله: تاريخ أصبهان، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠/١٩٩٠م، ج١، ص٢٥٨، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٦٦٣، أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل: المختصر في أخبار البشر، ط١، المطبعة الحسينية، مصر، د . ت، ج٢، ص١٣٠، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي: معاهد التنصيص، من كتاب شرح شواهد التلخيص، ==

٣٢٦هـ/٩٣٧م، وكذلك اختلف حول مكان مولده، فقيل: ولد ببلدة اصطخر(١)، وقيل: بل بطالقان قزوين(٢) كان مولده(٣).

وذكر الثعالبي أن مولده كان ببلدة بُست(٤) قائلاً: "وأعظم مفاخر بُست تشرفها بأنها أخرجت فرد الدهر، وتاج العصر، ونكتة الدنيا، وغرة العليا: الصاحب شمس الكُفاة"(٥).

القاهرة، ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م، ج٢، ص١٥٢، آقا بزرك الطهراني: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ط٣، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج٢، ص٦٩.

(١) اصطخر: أكبر نواحي بلاد فارس، كثيرة المدن، وبها يقطن ملك فارس، وسعتها مقدار ميل، وكان لها سور تهدم، وبناؤهم من الطين والحجارة والجص. "الكرخي، إبراهيم بن حمد الإصطخري: مسالك الممالك، وهو معول على كتاب صور الأقاليم للبلخي، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٣٧م، ص١٢٣.

(٢) طالقان: مدينة بخراسان بين مرو الروذ وبلخ، وهى مدينة فى مستوى من الأرض، ولها نهر كبير، وبساتين. "ياقوت الحموى، أبو عبد الله: معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج٤، ص٦، ٧".

(٣) الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. تحقيق: إبراهيم صقر، مكتبة مصر، القاهرة، د. ت، مج٣، ص٢٢١، ياقوت: معجم الأدباء، ج٢، ص ٦٦٢، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص٢١٠، البغدادي: هدية العارفين، مج١، ص٢٠٩.

(٤) بُست: مدينة بين سجستان وغزنين وهراة، من أعمال كابل، وهي من البلاد الحارة، كبيرة، كثيرة الأنهار والبساتين."ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤١٤، ٤١٥"، وإليها يُنسب عدد من رجال العلم، ومنهم أبو الفتح البستي الشاعر."البكري، عبد الله بن عبد العزيز: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ، ج١، ص٢٤٩".

(٥) لطائف المعارف، تحقيق: إبراهيم الإبياري، حسن كامل الصيرفي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م، ص٢٠٦، ولعل هذا القول خطأ وقع فيه محقق ==

وعلى الرغم من أن الصاحب بن عباد ينتمي إلى العجم الديالمة(١)، فإنه كان يرى تفضيل العنصر العربي على العجمي، بل كان يصرح بذلك، إذ لما جاء رجل بقصيدة يجل فيها العجم على العرب، توعد الرجل بضرب عنقه، وقال: "...لا ترون رجلاً يفضل العجم على العرب إلا وفيه عرق من المجوسية.."(٢).

الكتاب، واختلط عليه شمس الكفاة بكافي الكفاة الذي هو الصاحب، انظر: "لطائف المعارف، حاشية المحقق، ص٢٠٦"، ولأن الثعالبي نفسه ذكر في كتابه يتيمة الدهر أن مولده كان في الطالقان، "مج٣، ص٢٢١".

(١) الديلم: تُنسب الديلم إلى باسل بن ضبة ، الذي خرج إلى أرض الديلم، وتزوج امرأة من العجم، فولدت له ديلمًا، فهو أبو الديلم كلهم، وهم أفخاذ وعشائر، ومنهم ملوك بني بويه، وافترق الديلم فرقتين لأخوين، وهما: ديلم وأتباعه، وجيل وأتباعه، فاقتسموا البلاد، واتخذوا القرى، وسكنوا في الجبل والسهل فيما يلي بحر طبرستان، ومنهم من رحل إلى نواحي آذربيجان، ومساكنهم من القصب والخشب ثم من الطين، وامحت العربية من ألسنتهم، وانقلبت إلى الفارسية لغتهم، لإحاطتها من جميع الجهات بهم، وانضم إليهم كثير من أهل فارس واعتصموا بهم، ثم أسلموا، فصارت نواحيهم من دار الإسلام. "الصابي، إبراهيم بن هلال: المنتزع من التاجي، تحقيق: محمد صابر خان، ط١، طهران، إيران، ١٩٧٦م، ص٤، ٥، المقريزي: السلوك، ج١، ص٢٣، خواندمير: روضة الصفا، ص١٨١".

(٢) الأزدي، علي بن ظافر: بدائع البدائه، وهو هامش على كتاب معاهد التنصيص لعبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي، القاهرة، ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م، ج١، ص٥٥، ٥٦.

ألقابه:

لقب بالصاحب[١]، وكان أول من لقب به من الوزراء؛ لأنه كان يصحب أبا الفضل بن العميد[٢]، فقيل له: صاحب ابن العميد، ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة، وصار مميزًا به وعلمًا عليه[٣]، **وقيل:** إنما سمى بالصاحب، لأنه صحب مؤيد الدولة بن بويه[٤] منذ الصبا، وسماه الصاحب،

(١) أبو نعيم الأصبهاني : تاريخ أصبهان، ج١، ص٢٥٨، ابن الدمياطي: المستفاد، ص٨٦، حاجي خليفة: سلم الوصول، مج٥، ص٨٠.

(٢) أبو الفضل بن العميد: محمد بن العميد بن أبي عبد الله الحسين بن محمد، الكاتب، المعروف بابن العميد، وزر لركن الدولة أبي على الحسن بن بويه، كان متوسعًا فى علوم الفلسفة والنجوم والأدب، كامل الرياسة، جليل القدر، توفي في ٣٦٠هـ/٩٧٠م "ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، د. ت، ج٥، ص١٠٤، ١٠٩".

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مكتبة النهضة، ج١، ص٢٠٧، القلقشندي، أحمد بن عبد الله: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط٢، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٥م، ج١، ص٣٢١، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد: لسان الميزان، تحقيق: غنيم بن عباس غنيم، ط١، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، مج١، ص١٠٦، ابن تغري بردي: النجوم، ج٤، ص١٦٩، القمي: الكنى، ج٢، ص٤٠٤.

(٤) مؤيد الدولة: أبو منصور بن ركن الدولة بن بويه، ولد بجرجان، وملك أصفهان والري بجرجان، ووزر له الصاحب إسماعيل بن عباد، مرض بعلة الخوانيق، ومات في ٣٧٣هـ/ ٩٨٣م، وله ثلاث وأربعون سنة. "الصفدي: الوافي، ج١٠، ص٢٠٤".

فاستقر له هذا اللقب، ثم سمى به كل من ولي الوزارة بعده(١)، كما لقب أيضًا بلقب "كافي الكفاة"(٢).

مذهب الصاحب:

وعن مذهب الصاحب، قيل: إنه كان حنفي المذهب(٣)، وكذلك قيل عنه: "إنه كان صدوقًا، إلا أنه كان مشتهرًا بمذهب المعتزلة، داعيًا إليه(٤)،

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مكتبة النهضة، ج١، ص٢٠٧، الصفدي: الوافي، ج٩، ص٧٧، الخوانساري: روضات الجنات، ج٢، ص٢٠.

(٢) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٦٦٣، الذهبي: سير أعلام النبلاء، المكتبة العصرية، م٣، ص١٠٦٦، المازندراني، محمد بن إسماعيل: منتهى المقال في أحوال الرجال. تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، ١٩٩٥م، ص٦٥، مسفر الزهراني: نظام الوزارة، ص٩٤.

(٣) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٢١٧، القنوجي، صديق بن حسن: أبجد العلوم. تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م، ج٢، ص٤٨٠.

(٤) ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، مج٢، ص١٠٦، ابن قاضي شهبة، أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر: طبقات الشافعية. تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ، ج٣، ص١٤٣.

وهناك من نسبه إلى التشيع[١] والاعتزال معًا[٢]. لكن هناك من أنكر أن يكون الصاحب بن عباد معتزليًّا، وقال إن ذلك من قبيل الوهم[٣]، فقد كان شيعيًّا[٤]، إماميًّا، وعُد في عداد الوزراء الشيعة، فقد كان متعلقًا بحبل آل البيت، متمسكًا بولايتهم، وقوله بإمامتهم[٥].

---

(١) الشيعة: أتوا في حياة سيدنا علي بن أبي طالب، وهم الموالون والمشايعون له، فلما استشهد افترقت الشيعة إلى عدة فرق، منهم الإمامية، والقطعية، والواقفية، والسراحية، والمغيرية، والزيدية، والإمامية، والكيسانية، وافترقت الزيدية فرقًا، وفرق الزيدية معدودون في فرق الأمة، وهم يقولون بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في أيام خروجه، وكان ذلك في زمان الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك. وعامتهم يظهرون الإمامة، ويدّعون للقرآن تأويلاً باطنًا، ومنهم القرامطة، وأيضًا يقال لهم الإسماعيلية، أما تسمية الباطنية فلأنهم يُظهرون الرفض ويبطنون الكفر. "المقدسي، المطهر بن طاهر: البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د. ت، ج٥، ١٢٤– ١٣٣، "عبد القاهر البغدادي، أبو منصور بن طاهر محمد: الفرق بين الفرق، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص١٧، ١٨، ابن كثير، إسماعيل بن عمر أبو الفدا الحافظ: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، د . ت، ج١١، ص٦٢".

(٢) القزويني، عبد الكريم بن محمد الرافعي: التدوين في أخبار قزوين. تحقيق: عزيز الله العطاردي، ط١، جمعية المخطوطات الإيرانية ونسر عطارد، ١٣٧٤هـ/١٩٩٧م، ج٢، ص٢٩٣، الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ج١٦، ص ٥١٢.

(٣) المازندراني: منتهى المقال، ج٢، ص٦٦، وقد نسب المازندراني هذا الزعم والوهم إلى الصفدي. "انظر: منتهى المقال، ج٢، ص٦٦".

(٤) البغدادي: هدية العارفين، مج١، ص٢٠٩.

(٥) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بابويه القمي: عيون أخبار الرضا، ط٢، مؤسسة الأعلمي، بيروت – لبنان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ج١، ص١٢.

وقد أخطأ من زعم أنه كان معتزليًّا[١]، ويمكن أن يراد بنسبة الاعتزال إليه موافقة المعتزلة في بعض الأصول المعروفة، لكنه شيعي وليس معتزليًّا[٢].

ودليل تشيع الصاحب ما أثر من قوله: "اللهم جدد اللعنة على من منع الحسين الماء"[٣]، كما أن في تصانيف ابن عباد ما يقتضي موافقته للشيعة وليس المعتزلة، مثل كتابه: "الأنوار"[٤].

وقد ورد أنه لما تزوج الصاحب، ورُزق ولدًا سُمي عبادًا[٥]، فقيل: لما روت الشيعة أن بالطالقان كنزًا من ولد فاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد (صلى

(١) الخوانساري: روضات الجنات، ج٢، ص٢٨.

(٢) ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، مج٢، ص١٠٩، العاملي: أعيان الشيعة، مج٥، ص١٢٣، ١٢٤.

(٣) عبد الرحيم العباسي: معاهد التنصيص، ج٢، ص١٥٧.

(٤) علي بن الطاووس، السيد رضى الدين الحلي: اليقين باختصاص مولانا علي بإمرة المؤمنين، ويتلوه التحصين لأسرار ما زاد من أخبار اليقين، تحقيق: الأنصاري، ط١، مؤسسة الثقلين لإحياء التراث الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤١٠، ١٩٨٩م، ص٤٥٧.

(٥) بزرك الطهراني: نوابغ الرواة، ج١، ص١٨١.

الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم) يملأ الله به الأرض عدلاً كما ملئت جورًا[١]، والصاحب من قرية الطالقان، ورزق سبطًا[٢] فاطميًا، تأولوا له هذا الخبر[٣].

وامتلك الصاحب خاتمين، كان نقش أحدهما: "على الله توكلت، وبالخمس توسلت"، ونقش الآخر: "شفيع إسماعيل في الآخرة، محمد والعترة الطاهرة"[٤].

وظائفه:

أخذ الصاحب العلم عن الفضل بن العميد[٥]، فكان في بدء أمره من صغار الكتاب، يخدم أبا الفضل بن العميد، ثم ترقت به الحال إلى أن كتب لمؤيد الدولة[٦]، ومؤيد الدولة حينئذ أمير، فوجد منه مؤيد الدولة الكفاية والشهامة، فلقبه بالصاحب كافي الكفاة، فلما مات أبوه ركن الدولة، وولي مؤيد

(١) الصفدي: الوافي، ج٩، ص٨٥.

(٢) سبطًا: السبط هو ولد الولد. "الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، ط٢، لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج١، ص١٢٠".

(٣) الثعالبي: يتيمة الدهر، مج٣، ص٢٢١، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٧٠٨، ابن كثير: البداية والنهاية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ج٨، ص١٧٢.

(٤) العاملي: أعيان الشيعة، مج٥، ص ١١١، ١١٢.

(٥) ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد: تاريخ الأدباء النحاة المسمى نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ط١، جمعية إحياء مآثر علماء العرب، ١٩٣٠م، ص٢١٥.

(٦) ابن الدمياطي: المستفاد، ص٨٦، الصفدي: الوافي، ج٢١، ص٢٨١.

الدولة بلاده بالري[١] وأصبهان[٢]، خلع على أبي الفتح بن العميد[٣] خلع الوزارة بعد وفاة أبو الفضل ابن العميد أبيه[٤]، وأجراه على ما كان يتولى أبيه أبي الفضل بن العميد، واستمر أبو الفتح على ذلك حتى قتل، فاستوزر المؤيد عوضًا عنه الصاحب بن عباد[٥]، و"أصلح له أموره كلها"[٦]، ولم يزل على

(١) الري: كورة معروفة تُنسب إلى الجبل، وليست منه، والري أقرب إلى خراسان. "البكري: معجم ما استعجم، ج٢، ص٦٩٠"، وهي كثيرة الفواكه والخير، مبنية بالآجر، وأكثر أهلها شيعة "ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص ١١٦، ١١٧".

(٢) أصبهان: مدينتان إحداهما: تعرف باليهودية، والأخرى: شهرستان، وبينهما مقدار ميلين، وفي كل مدينة منهما منبر، واليهودية أكبر من شهرستان، وبناؤهما من طين، وهما أخصب مدن الجبال، وأوسعها وأكثرها أهلاً وأموالاً، وأصبهان قصبة لفارس والجبال وخراسان وخوزستان، وبأصبهان تصنع الثياب الحرير والقطن، وهي مقصد التجار."الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحمودي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ج٢، ص٦٧٧".

(٣) أبو الفتح بن العميد: علي بن محمد بن الحسيني بن محمد بن أبي الفضل بن العميد، تولى الوزارة لركن الدولة بن بويه وسنه اثنتان وعشرون سنة، كان ذكيًا، متوقدًا، أديبًا، وله نظم، ثم أقره مؤيد الدولة في الوزارة، ذُكر عنه أنه كان على حالة من الاستبداد والإدلال، فاستوحش منه مؤيد الدولة، فقبض عليه وحبس، مات في سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م. "الصفدي: الوافي، ج٢١، ص٢٨٠، ٢٨١".

(٤) ابن أيبك الدواداري، أبو بكر بن عبد الله: كنز الدرر وجامع الغرر، الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق: صلاح الدين المنجد، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م، ج٦، ص١٣١.

(٥) الصفدي: الوافي، ج١٠، ص٢٠٤.

(٦) ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم: الكامل في التاريخ، ط١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ج٢، ص١٧٨٥، أبو الفدا: ==

ذلك إلى أن مات مؤيد الدولة في٣٧٣هـ/٩٨٣م[١]، فأنفذ الصاحب إلى فخر الدولة[٢]، وأحضره، وملكه البلاد، فأقر الصاحب على وزارته[٣]، وكان مبجلاً عنده، ومعظمًا، نافذ الأمر[٤]، ولم يزل على وزارته له والأمور تصدر عن أمره، والملك يتدبر برأيه، حتى قيل: إذا قال فخر الدولة قولاً، وقال الصاحب قولاً، امتثل قول الصاحب، وتُرك قول فخر الدولة[٥].

المختصـــر، ج٢، ص١١٢، ابن كثير: البداية والنهاية، المكتبة العصـــرية، ج٨، ص١٢٥.

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٢، ص٦٦٣، ٦٦٤، حاجي خليفة: سلم الوصول، مج١، ص٣١٨، الخوانسـاري: روضـات الجنات، ج٢، ص٢٠، ٢١، عمر رضـا كحالة: معجم المؤلفين، ج١، ص٣٦٧.

(٢) فخر الدولة: علي بن ركن الدولة الحسـن بن بويه، سـلطان الري وبلاد الجبل، كان ملكًا شـجاعًا مطاعًا، ملك أربع عشـرة سـنة، قيل: "إنه كان أجل من بقى من ملوك بني بويه، توفي في ٣٨٧هـ/٩٩٧م. "ابن العماد، عبد الحي بن أحمد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق ١٤٠٦هـ، ج٣، ص١٢٤".

(٣) أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص١٣٠، الصفدي: الوافي، ج١١، ص٣١٥، القلقشندي: مآثر الإنافة، ج١، ص١٢١، بزرك الطهراني: نوابغ الرواة، ج١، ص١٤٤.

(٤) الهمذاني، محمد بن عبد الملك: تكملة تاريخ الطبري. تحقيق: محمد أبو الفضـــل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٨١م، ص٤٢٢، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي: المنتظم في تواريخ الملوك والأمم، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـــــ/١٩٩٥م، ج٩، ص٣٠، ابن خلكان: وفيات الأعيان، مكتبة النهضة المصرية، ج١، ص٢٠٧.

(٥) يـاقوت الحموي: معجم الأدبـاء، ج٢، ص ٦٦٤، عبـد الرحيم بن أحمـد: معـاهـد التنصيص، ج٢، ص١٥٣.

وقد أطلق على الصاحب عقب توليه الوزارة اسم ناظر الدولة، إذ كان كل من يلي الوزارة يسمى بذلك آنذاك(١). ويذكر أنه أثناء وزارته لمؤيد الدولة عُزل بأبي الفتح بن العميد، ثم أعيد إليها، وبقى فيها إلى آخر عمره(٢)، في حين ذكر ابن الجوزي أن عزله هذا كان عن الكتابة وليست الوزارة(٣).

ولكون الصاحب من أصحاب الهمم والنبل والرياسة، فقد رغب الأمير نوح بن منصور (٤) صاحب خراسان(٥) أن يستوزره، وأرسل إليه سرًّا من يعرض عليه هذه الرغبة، طالبًا منه الانحياز إليه ليُلقي إليه مقاليد ملكه بعد أن يعتمده في الوزارة، فاعتذر إليه الصاحب عن قبول عرضه(٦)، قائلاً عن ذلك:" ...

(١) ابن تغري بردي: النجوم، ج١٦، ص٨٥.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، المكتبة العصرية، مج٣، ص١٠٦٦، ابن كثير: البداية والنهاية، المكتبة العصرية، ج٨، ص١٧٣، ١٧٤، حاجي خليفة: سلم الوصول، مج١، ص٣١٨.

(٣) المنتظم، ج٩، ص٣٠.

(٤) الأمير أبو القاسم نوح بن منصور: ابن الأمير نوح بن أحمد بن إسماعيل الساماني، سلطان بخارى وسمرقند، وابن سلاطينها، حكم اثنتين وعشرين سنة، توفي في ٣٨٧هـ/٩٩٧م. "الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ج١٦، ص٥١٤".

(٥) خراسان: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق: بيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند: طخارستان وغزنة، وهي تشتمل على عدة بلاد، منها: نيسابور، وهراة، ومرو، وقد فُتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحًا."ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٥٠".

(٦) القفطي، جمال الدين علي بن يوسف: إنباه الرواة على أنباه النحاة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج١، ص٢٠٢، ابن خلكان: وفيات الأعيان، مكتبة النهضة المصرية، ج١، ص٢٠٨، الصفدي: الوافي، ج٩، ص٧٩، اليافعي، عبد الله بن أسعد بن علي: مرآة الجنان ==

فكان فيما اعتذرت به من تركي امتثال أمره والصدر عن رأيه ذكر طول ذيلي، وكثرة حاشيتي، وحاجتي لنقل كتبي خاصة إلى أربعمائة جمل، ... [١]، واستكمل قائلاً: "... كيف يحسن بي مفارقة قوم بهم ارتفع قدري وشاع بين الأنام ذكري ..." وقد كان كثير الكتب، حتى قيل: إنه وجد في بيته أن فهرس كتبه قد بلغ وحده عشر مجلدات[٢].

مكانته:

وفي بادئ أمره، كان للصاحب مكانة كبيرة في قلب أستاذه ابن العميد، يدل عليها تلك الرسالة التي بعث بها ابن العميد إليه، يعلمه فيها أن مؤيد الدولة بحاجة إليه في أموره، وأمور أبنائه، وكان مما كتبه إليه مخاطبًا إياه بمولاي: ".... العمل فقير إلى كفايته، محتاج إلى كفالته ... ولي النعمة يريده لتهذيب من هو ولي عهده، ... فلا بد من مثاب من يَعلم ما السياسة والرئاسة، وكيف تُدبرُ العامة والخاصة، وبماذا تفقد المهابة، ومن أين تجتلب الأصالة، ... فلا يبخلن مولاي على ولي نعمته... فمن هذه الدولة جرى ماء فضله وفضل شيخه من قبله..."[٣].

وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص٤٢٣.

(١) ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي: التذكرة الحمدونية. تحقيق: إحسان عباس، بكر عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م، مج٢، ص٥٠، ابن الجوزي: المنتظم، ج٩، ص٣٠، الذهبي: سير أعلام النبلاء، المكتبة العصرية، مج٣، ص١٠٦٦، ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣، ص١١٥.

(٢) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٦٩٧.

(٣) ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، مج٦، ص٣٤٥، ٣٤٦، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٦٣٧، ٦٨٤، بدوي طبانه: الصاحب، ص٥٤.

ولما التحق بخدمة بني بويه، أصبحت له مكانة ورفعة لديهم، ومما يدل على المكانة العالية التي بلغها الصاحب بن عباد أن مؤيد الدولة حينما ولاه الوزارة، قد أرسل إليه كتابًا يهنئه فيه بتوليه إياها(١).

كما أن مكانة الصاحب عند بني بويه جعلت عضد الدولة(٢) يبحث عن طبيب صاحب باع وعلم يُرسل به إلى الصاحب في بلدة الري، وذلك لما اشتكى الصاحب ألمًا في معدته، فأشير على عضد الدولة بالطبيب أبي عيسى

(١) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب بن عباد، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م، ص ١٢٩.

(٢) عضد الدولة: فناخسرو بن ركن الدولة الحسن بويه، ولي سلطنة فارس بعد عماد الدولة، واستولى على العراق والجزيرة، وهو أول من خُطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة، كان أديبًا، حازمًا، مطاعًا، قصده الشعراء من البلاد كالمتنبي وغيره، وكانت له عيون كثيرة تأتيه بأخبار البلاد البعيدة، توفى فى ٣٧١هـ/ ٩٨١م. "ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣، ٧٨".

جبريل[١]، فأطلق له عضد الدولة مالاً وركوبة، وتلقاه الصاحب لقاءً جميلاً في الري، وأحسن إليه، وشرع في معالجته حتى برئ[٢].

وكان عضد الدولة يحسد أخاه مؤيد الدولة على الصاحب؛ إذ أثر عنه قوله: " ... لا أحسد ملكًا من الملوك على شيء غير أخي على أبي القاسم إسماعيل بن عباد..."[٣].

ومهابته في النفوس بلغت مبلغًا جعلت عضد الدولة يخاطبه خطابًا لا يشرك معه فيه أحدًا، وكذلك كان إذا رآه قادة الديلم وأكابرها يعدون بين يديه ويركضون[٤].

---

(١) أبو عيسى جبريل: أحد أشهر أطباء بغداد، كان متكلمًا جيد الحجة، عالمًا باللغة الفارسية، وكان مصاحبًا لابن العميد، ولا يفارقه في دار الوزارة بسبب المرض الذي كان به، له العديد من المصنفات، منها: رسالة في عصب العين، مقالة في ألم الدماغ، مقالة في الرد على اليهود، وكتاب المطابقة بين قول الأنبياء والفلاسفة، وتوفي في ٣٩٦هـ/١٠٠٥م، وعمره خمس وثمانون سنة."ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم السعدي: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: عامر النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م، ج٢، ص٥٠: ٥٤، حاجي خليفة: سلم الوصول، مج١، ص٤٠٨".

(٢) الصابي، أبو الحسن الهلال بن المحسن: أقسام ضائعة من كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، جمعها: ميخائيل عواد، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م، ص٥٧، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج٢، ص٥٠.

(٣) المافروخي، المفضل بن سعد: محاسن أصفهان، تحقيق: عارف أحمد عبد الغني، ط١، دار كنان، دمشق، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص٦٣، العاملي: أعيان الشيعة، مج٥، ص١١٣، مسفر الزهراني: نظام الوزارة، ص١٠٩.

(٤) ياقوت الحموي: معجم الآدباء، ج٢، ص٧٠٥، ٧٠٦، السيوطي: بغية الوعاة، ص١٩٧.

ولما قاد الصاحب بن عباد الجيش لفتح جرجان[١] في ٣٧٣هـ/٩٨٣م، فقد كان يُكتب إليه من البعض يطلب منه التشريف بالانضمام معه إلى فتحها، وينتظر إذن الصاحب بذلك[٢]، كما كان يُكتب إلى الصاحب بطلب شفاعته عند فخر الدولة فيمن تُراد له[٣].

ومما يُؤكد علو مكانته حتى عند ملوك بني بويه أنه لما توفيت والدته في سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م، ذهب إليه فخر الدولة، معزيًا إياه، وجلس معه طويلاً يسكن منه، وكذلك لما خطب الصاحب لسبطه في ٣٨٤هـ/٩٩٤م، أنفذ إليه فخر الدولة أحد حجابه بمائة طبق فيها من الدراهم والدنانير ما هو عين وورق ينثرهم ابتهاجًا لبهجته، وفرحًا لفرحته[٤].

كذلك كان كبار القادة يحفظون للصاحب بن عباد مكانته وهيبته مع علو شأنهم وامتلاك الكثير منهم الإقطاعات، إلا أنهم كانوا يقفون على دوابهم لا يتكلم واحد منهم هيبة وإعظامًا له، حتى يأذن لهم[٥].

---

(١) جرجان: مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان، قيل: أول من أحدث بناءها بزيد بن المهلب، وقد خرج منها خلق من الأدباء والعلماء والفقهاء، والمحدثين، ولجرجان مياه كثيرة، وثلج، ونخل وفواكه، وأهلها يأخذون أنفسهم بالتأني والأخلاق" ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص١١٩، ١٢٠".

(٢) الخوارزمي، محمد بن العتاب: رسائل الخوارزمي، تحقيق: موفق فوزي الجبر، التكوين للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٦م، ص٦٠.

(٣) ابن زهرون، أبو إسحاق إبراهيم بن هليل: ديوان رسائل الصابي. تحقيق: إحسان ذنون الثامري، ط١، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، لندن، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م، ص ٤٨٧- ٤٨٩.

(٤) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٦٩٠.

(٥) المصدر السابق، ج٢، ص٦٩٢.

الأقوال فيه:

والصاحب علم من أعلام القرن الرابع، جمع بين الوزارة والكتابة والسيف والقلم، وكان: "صدرًا في العلم والأدب، وغاية في الكرم، وجلالة القدر، وفردًا في الرياسة، وكثرة الفضائل، حاضر البديهة، قوى الحجة، طلق اللسان، محكم الجواب، سريع النكته"(١).

ومما قيل عنه: "ليست تحضرني عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله في العلم والأدب، وجلالة شأنه في الجود والكرم، وتفرده بغايات المحاسن، وجمعه أشتات المفاخر، ... هو صدر المشرق، وتاريخ المجد، وغرة الزمان، وينبوع العدل والإحسان، ومن لا حرج في مدحه..، ولولاه ما قامت للفضل في دهرنا سوق، وكانت أيامه للعلوية والعلماء والأدباء والشعراء، وحضرته محط رحالهم، وموسم فضلائهم، ومنزع آمالهم، وأمواله مصروفة إليهم، وصنائعه مقصورة عليهم، وهمته في مجد يشيده، وإنعام يجدده، .... وكلام حسن يصنعه أو يسمعه..."(٢).

وذكر عنه الصابي(٣): ... له الفضائل المذكورة، والمناقب المأثورة، والآثار المشهودة"(٤)، كذلك قيل عنه: "أفضل وزراء الدولة الديلمية، وجميع

(١) العاملي: أعيان الشيعة، مج٥، ص١١٤، ١١٥.

(٢) الثعالبي: يتيمة الدهر، مج٣، ص١٧٧.

(٣) الصابي: أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي الحراني، الأديب، عمل كاتبًا للإنشاء للملك عز الدولة بختيار، وقد ألح عليه أن يُسلِم فامتنع، كان بارعًا في النظم والنثر، توفي في ٣٨٣هـ/٩٩٣م، عن سبعين عامًا. "الذهبي: العبر، ج٣، ص٢٦، ٢٧".

(٤) الوزراء، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء. تحقيق: عبد الســـتار أحمد فراج، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٨م، ص٤.

ملكهم كان مائة وعشرين سنة، وزر لهم جماعة فيهم معانٍ حسنة، ولكن لم يكن من يُذكر عنه العلم كما يُذكر عن الصاحب"(١).

أيضًا مما ذُكر في أمر نشأته في بيت تولى أربابه الوزارة: "الصاحب نشأ من الوزارة في حِجرِها، ودب ودرج من وَكْرِها، ورضع أفاويق دَرّهَا، وورثها عن آبائه"(٢)، وقد وُصف بأنه: "فخر الوزراء"(٣)، "المحب الصافي، حميد الوزراء، وعميد النظراء"(٤)، "أوحد زمانه علمًا وفضلاً، وتدبيرًا، وكرمًا، ورياسة ورأيًا، عالمًا بأنواع العلوم"(٥)، ".. وأعجوبة عصره في الفضائل والمكارم"(٦).

و"كان من رجال الدهر حزمًا وعزمًا وسؤددًا ونبلاً وسخاءً وحشمة وأفضالاً وعدلاً"(٧)، كما "كان من العلم والفضيلة والبراعة والكرم والإحسان إلى

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج٩، ص٣٢.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مكتبة النهضة المصرية، ج١، ص٢٠٦، اليافعي: مرآة الجنان، ج٢، ص٤٢٢، القنوجي: أبجد العلوم، ج٣، ص٦٧.

(٣) حاجي خليفة: سلم الوصول، مج١، ص٣١٨.

(٤) الخوانساري: روضات الجنات، ج٢، ص١٩.

(٥) أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص١٣٠، ابن خلدون: العبر، مؤسسة الأعلمي، ج٤، ص٤٦٦.

(٦) ابن خلكان: وفيان الأعيان، مكتبة النهضة المصرية، ج١، ص٢٠٦، اليافعي: مرآة الجنان، ج٢، ص٤٢١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٧٠، السيوطي: بغية الوعاة، ص١٩٦، القنوجي: أبجد العلوم، ج٣، ص٦٧.

(٧) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣، ص١١٤.

العلماء على جانب عظيم"[1]، و"... وُفق لحسن السياسة والرجاحة، مستغن عن الوصف، مكتفٍ عن الإخبار عنه والرصف"[2].

وجدير بالذكر أن جميع تلك الأقوال –والتي في مجملها عبارات مدح في شخص الصاحب وحقه– صدرت عن علماء ومؤرخين سنيي المذهب، بينما هو كان شيعيًّا، مما يؤكد صدق ما قيل فيه من أنه كان متفردًا ونادرة عصره، فاستحق كل هذا الثناء الذي اعترف به الجميع، ممن خالفه في المذهب قبل من وافقه فيه.

خصومه:

وقعت الوحشة بين الصاحب بن عباد وبين أبي الفتح بن العميد، وقد تولدت عقب وفاة أبي الفضل بن العميد في ٣٦٠هـ/٩٧٠م، وتولية ابنه أبي الفتح الوزارة لمؤيد الدولة، وكان الصاحب آنذاك كاتبًا لمؤيد الدولة، مختصًّا به، شديد الحظوة لديه، فقيل: إن أبا الفتح بن العميد حسده على ذلك، وكره قربه من مؤيد الدولة، وأساء الظن به، وأنه ربما يتبوأ موقعه من الوزارة، فأخذ في التدبير عليه، وأوعز إلى الجند بالشغب عليه، فأمر مؤيد الدولة الصاحب بن عباد بالعودة إلى أصبهان، إلا أن هذا الفعل من قبل ابن العميد بحق الصاحب قد جر عليه غضب مؤيد الدولة، وتحين الفرصة للتخلص منه، كما أن عضد الدولة كان قد تغير هو الآخر على ابن العميد؛ لأنه كان متواصلاً

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، المكتبة العصرية، ج٨، ص١٧٢.

(٢) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٦٦٢.

مع بختيار[١] بن معز الدولة[٢]، ممالئًا له[٣]، بالإضافة إلى ميل القواد إليه، إلى غير ذلك من الأسباب التي أوغرت صدر الأخوين عليه، فتقرر اعتقاله[٤]، وقد تم ذلك بالفعل في ٣٦٦هـ/٩٧٦م[٥]، فيذكر أنه عشية القبض عليه كان ساهرًا مع ندمائه يحتسي الشراب، فلما فرغ من ليلته طلب من خدمه أن يتركوا آنية الشرب وكل شيء كان في المجلس على حاله حتى يستأنف في الصباح ما بدأه في العشية، وانصرف إلى حيث يأخذ مضجعه من النوم، فأرسل إليه مؤيد الدولة في آخر الليل، فذهب إليه، ولم يدر بخلده ما دبر له من أمر

(١) بختيار: أبو منصور بختيار الملقب عز الدولة ابن الملك معز الدولة أحمد بن بويه الديلمي، ولي بختيار مملكة أبيه بعد موته، كان شديد القوى، صار بينه وبين ابن عمه عضد الدولة منافسات أدت إلى التنازع، وقتل في ٣٦٧هـ/٩٧٧م، وكان عمره ستًّا وثلاثين سنة."ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣، ص٥٩".

(٢) معز الدولة بن بويه: أحمد بن بويه الديلمي، كان حازمًا سائسًا، مهيبًا، عالمًا، ملك بغداد نيفًا وعشرين سنة، مات في ٣٥٤هـ/٩٦٥م. "اليافعي: مرآة الجنان، ج٢، ص٣٥٨".

(٣) الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الطبري المعروف بتاريخ الأمم والملوك، تحقيق، عبدأ . علي مهنا، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ج٩، ص٤٤٥، ابن مسكويه، أحمد بن محمد: تجارب الأمم، مطبعة التمدن الصناعية، مصر، ١٣٣٣هـ/١٩١٥م، ج٢، ص٣٥٣، بدوي طبانه: الصاحب، ص٦٤.

(٤) الثعالبي: يتيمة الدهر، مج٣، ص١٧٥، ١٧٦، الصفدي: الوافي، ج٢١، ص٢٨١، ابن خلدون: العبر، مؤسسة الأعلمي، ج٤، ص٤٥٢، الخوانساري: روضات الجنات، ج٢، ص٢١، مسفر الزهراني: نظام الوزارة، ص١٠٣.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، المكتبة العصرية، ج٨، ص١٤٢.

القبض عليه، فلما حضر أُخذ، وكذلك أُخذ جميع ما في داره، وصدر أمر مؤيد الدولة بتولى الصاحب بن عباد الوزارة له(١).

أما الخصومة بين الصاحب بن عباد والمتنبي(٢)، فقد ذُكر أن الصاحب لما بلغه قدوم المتنبي إلى أرجان(٣)، متوجهًا إلى ابن العميد، ولم يعرج عليه، غضب من ذلك، وقال: "إن جاءني خرجت إليه من جميع ما أملكه"، فلما بلغ ذلك المتنبي، لم يعرج عليه، ولا عبأ به، فزاد غضب الصاحب، مما حدا به إلى أن ألف كتابًا ذم فيه المتنبي(٤)، وكان الصاحب

(١) التنوخي، المحسن بن علي: نشوار المحاضرة، وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧١م، ج٥، ص٢١: ٢٣، ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، مج٩، ص٢٦٤، ٢٦٥، ابن الجوزي: المنتظم، ج٩، ص٣٠، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٦٩٤، ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص١٨٠٧، أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص١١٧.

(٢) المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، وُلد في ٣٠٣هـ/٩١٥م، قال الشعر وهو صغير، ونظر في فنون الأخبار وأيام الناس والأدب، وفاق أهل عصره، قيل: تنبأ ثم استُتيب، وقتل في ٣٥٤هـ/٩٦٥م."الصفدي: الوافي، ج٦، ص٢٠٨، ٢٠٩".

(٣) أرجان: حد بين فارس وخوزستان، وهي مدينة حسنة، في غاية الطيب، ولها رساتيق وخصب ونخل وكروم وفواكه، وماؤها غير طيب. "الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٤١٢".

(٤) ابن العديم، كمال الدين بن عمر بن أحمد بن هبة الله: بغية الطلب في تاريخ حلب. تحقيق: المهدي عيد الرواضية، ط١، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، لندن، ١٤٣٨هـ/٢٠١٦م، ج٢، ص١٠٣، الصفدي: الوافي، ج٩، ص٨١.

لما بلغه قدوم المتنبي قيل: إنه باع دارًا له بخمسين ألف درهم وأرصدها له إن جاء إليه ومدحه، فلما أعرض المتنبي عنه وقعت الوحشة بينهما(١).

أيضًا حدثت الخصومة بين الصاحب بن عباد، وأبي حيان التوحيدي(٢)، وقد ذكر التوحيدي سببها، وهو: أنه لما قدم إلى الري لمقابلة الصاحب وهو في شدة العدم، خالي الكفين، لعل الصاحب يصله بمال يعينه به، لكن الصاحب لم يصله، ولم يعطه شيئًا، بل حرمه، الأمر الذي أغضب أبا حيان وجعله يهجوه، مؤلفًا في ذلك المؤلفات التي تنال من الصاحب، قائلاً عنه: ".. لئن كان منعني ماله الذي لم يبق له، فما حظر على عرضه الذى بقى بعده..، ولئن كان ظن أن ما يصير إلى من ماله ضائع، إني لأيقن الآن أن ما يتصل بعرضه من قولي شائع..(٣)"

كما قال أيضًا بعدما شعر أن الصاحب ظلمه بعدم الالتفات إليه وإلى حاله: "...إني رجل مظلوم من جهته، وعاتب عليه في معاملتي، وشديد الغيظ لحرماني"، وذهب أبو حيان يعدد مساوئ الصاحب وقد أوعزها إلى ثقة كل

(١) الصفدي: الوافي، ج٩، ص٨١.

(٢) أبو حيان التوحيدي: علي بن محمد بن العباس، صوفي السمت والهيئة، كثر الكلام حول معتقده أهو مسلم أو زنديق، قيل: إنه كان متفننًا فى جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والأدب والفقه، والكلام على رأي المعتزلة، من مصنفاته: كتاب الصداقة والصديق، الرد على ابن جني في شعر المتنبي، رياض العارفين، الرسالة البغدادية، توفي في ٣٨٠هـ/٩٩٠م. "الصفدي: الوافي، ج٢٢، ص٢٨".

(٣) أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد: مثالب الوزيرين. أخلاق الصاحب بن عباد وابن العميد، تحقيق: إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، سورية، ١٩٩٧م، ص٨١، ٨٣.

من مؤيد الدولة ثم فخر الدولة فيه، وتعويلهما عليه، وقلة سماعهما للناصحين فيه، وهذا مما أفسد الصاحب(١).

وقد رُمي الصاحب بالعديد من المساوئ، وناله الذم من قبل أبي حيان التوحيدي بسبب ذلك، واجتهد في الغض منه(٢)، ولكن لم يتم الاعتماد على أقوال التوحيدي فيه نظرًا للخصومة التي كانت بينهما، فلربما لم يكن ما ذكره التوحيدي عنه صحيحًا، أو بعضه، ويُعضد ذلك قول ابن حجر العسقلاني إن ما كتبه التوحيدي في حق الصاحب:"... أكثره مُختلق"(٣).

ثانيًا: دوره السياسي والعسكري:

الصاحب، وإن لم يصل إلى أيدينا الكتب التى تستفيض في التأريخ لحقبته من الناحية السياسية، إلا أنه من خلال ما كتب عنه، ومما يصدر عن الغير إليه من التوقير والتعظيم، ومما حازه من مكانة جليلة عند مؤيد الدولة ومن بعده فخر الدولة، ومعرفة الجميع فضله وشرفه، دل ذلك كله على أنه ما ينجم إلا عن شخصية تتمتع بالكفاءة والإخلاص والموهبة، وأنه كان الرجل المناسب في موضعه المناسب.

وكان للصاحب حضور سياسي وعسكري طاغي حتى قبل توليه الوزارة، فمن الحروب التي شارك فيها الصاحب بن عباد، الحرب ضد

(١) أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، والقاهرة، ١٩٤٤م، ج١، ص٥٣، ٦٠.

(٢) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٦٦٩.

(٣) لسان الميزان، مج٢، ص١٠٦.

وهسوذان بن محمد[١] في ٣٤٨هـ/٩٥٩م، وقد بادر ابن أخيه إبراهيم بن المزربان[٢] صاحب أذربيجان[٣]، وإخوته بعداوته بعد وفاة أبيهم، وقام بالاستيلاء على قلاع أذربيجان، وطرد أبناء أخيه، وقد حاربه إبراهيم لكنه هُزم أمامه، فلجأ إبراهيم إلى الاستنجاد بركن الدولة، فأمده بالجيوش لمحاربة

(١) وهسوذان بن محمد: وهو صاحب قلعة تسمى طرم ببلاد الديلم، مشرفة على قزوين، دخل وهسوزان في حروب مع ركن الدولة بن بويه، لكن هزمه وهسوذان عند قلعة طرم، وقد حاول المتنبي تخفيف أثر الهزيمة على ركن الدولة، فأنشده:

ما كانت الطرم في عجاجتها إلا بعيرًا أضله ناشد

تسأل أهل القلاع عن ملك قد مسخته نعامة شارد

"ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٢".

(٢) إبراهيم بن المزربان: صاحب أرمينية، كاتبه ابن شرمزن وأطمعه في ملك أخيه جستان، فسارا إليه، وقصدا مراغة واستوليا عليها، إلا أن ابن شرمزن تخلى عنه بعد ذلك، وانضم إلى أخيه جستان بن المزربان، فعلم الأخوان نفاق ابن شرمزن واتفقا عليه، ثم استطاع وهسوذان الإيقاع بين الأخوين واستمال إليه إبراهيم هذا، وقام بالقبض على جستان وأخيه ناصر ابنى المرزبان وأمهما، وحبسهم وهوذان، فاستوحش منه إبراهيم وسار لمحاولة إخراج آله من الحبس، فبادر وهسوذان إلى قتلهم، وأخرج عسكرًا لمحاربة إبراهيم الذي فر هاربًا، وعاد إلى أرمينية."ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، ج٧، ص٢٦٦".

(٣) أذربيجان: يتصل حدها ببلاد الديلم والجبل، وهو صقع جليل ومملكة عظيمة، الغالب عليها الجبال، وفيه قلاع كثيرة، وخيرات واسعة، وفواكه، وبها المياة الجارية، وفي أهلها لين وحسن معاملة. "ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٢٨".

وهسوذان، وفي أمر وهسوذان قال الصاحب: "... وإنا عازمون على تحميله أثقال المعاقبة، وتعريفه آيات سوء العاقبة بفضل الله وطوله..."(١).

واختار الصاحب لقيادة جيوش ركن الدولة القائد أبا الحسن علي بن كامة(٢)، يعاونه أبو نصر المرزبان بن إسماعيل بن وهسوذان، وكان المزربان هذا على خلاف مع جده وهسوذان، وكان يتولى لبني بويه قلعة شميران(٣)، فانضم إلى ابن كامة، فلما عرف وهسوذان الخبر، تجهز وتحصن، لكن تمت محاصرته، حتى وقع أسيرًا، وكتب بذلك الصاحب، واصفًا الأمر بأنه: "... الفتح الجسيم خطرًا، الكريم أثرًا"، وأرسل بذلك المكاتبات ليعلم بها الرعية(٤).

وفي عام ٣٦٠هـ/٩٧٠م لما أسندت وظيفة الوزارة إلى الصاحب بن عباد من قبل مؤيد الدولة، فقد استكمل مشاركته الفعالة سياسيًّا وعسكريًّا، وأحيانًا قد يقتصر دوره على الكتابة بإعلان بشريات الفتح، أو تُرسل إليه

(١) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص١٦، ابن الأثير: الكامل، دار الكتب العلمية، ج٧، ص٢٦٥، ابن خلدون: العبر، مؤسسة الأعلمي، ج٤، ص٦٧٣، ٦٧٤.

(٢) علي بن كامة: كان من أعيان أصحاب فخر الدولة، استخلفه ركن الدولة على جرجان، ثم استخلفه فخر الدولة على الري، توفي في ٣٧٣هـ/٩٨٣م". "ابن الأثير: الكامل، دار الكتب العلمية، ج٧، ص٢٣١، ٢٤٣، ٤١٩".

(٣) قلعة شميران: شميران بلد بأرمينية، وقرية بمرو الشاهجان. "ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٦٥"، وبها القلعة، وهى مرتفعة مشيدة على صخر، محاطة بثلاثة أسوار، حفرت في وسطها قناة تجرى فيها المياه، يحملونه إلى القلعة، ويقيم بها ألف رجل من أبناء عظماء الولاية. "ناصر خسرو، أبو معين قباديانى: سفرنامة، تحقيق: يحيى الخشاب، ط٣، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م، ج١، ص٣٧".

(٤) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص١٧، ١٨.

البشريات بالفتح، ففي ٣٦٣هـ/٣٧٩م، استولى الزنوج على عُمان، وتغلبوا عليها، فسير عضد الدولة إليها جيشًا في البحر، وأوقع بأهلها، وأسر منهم، فاستقامت البلاد، ودانت له بالطاعة(١)، ووصلت البشرى إلى الصاحب بن عباد بفتحها، والقضاء على الزنوج بها، الذين عاثوا فسادًا فيها، ولما تم القضاء عليهم، انقاد أهل جبال عُمان للطاعة، وقد غُنم منها غنائم كثيرة، أرسلت إلى عضد الدولة(٢).

وفي ٣٦٤هـ/٩٧٤م عزم عضد الدولة على الاستيلاء على العراق(٣)، وكانت تحت حكم بختيار(٤)، فطمع فيها عضد الدولة(٥)، لكنه خاف أباه ركن الدولة لو أقدم على ذلك، فلجأ إلى تأليب جند بختيار عليه، فشغبوا عليه(٦)، مطالبين إياه بالأموال، وكان بختيار لا يملك شيئًا، فأشار عضد الدولة عليه بالغلظة عليهم، وأن يُعرفهم أنه لا يريد الإمارة، وحينئذ يتدخل عضد الدولة ويتوسط له عندهم، وظن بختيار أن عضد الدولة ناصح له، ففعل ذلك،

(١) ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص١٧٩٦.

(٢) الثعالبي: يتيمة الدهر، مج٢، ص٣٠٤.

(٣) العيني: مخطوطة عقد الجمان، ج١، لوحه ٧٨، خواندمير: روضة الصفا، ص١٩٠.

(٤) ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر، الدرة المضية، ج٦، ص١٣٠.

(٥) ابن العميد، جرجس المكين: تاريخ المكين، تاريخ المسلمين من صاحب شريعة الإسلام أبي القاسم محمد حتى الدولة الأتابكية، تحقيق: علي بكر حسن، دار العواصم، القاهرة، ٢٠١٠م، ص٤١١، أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص١١٤، ١١٥، النويري: نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠٣، عصام الفقي: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، ص١٩٠.

(٦) الطبري: تاريخ الطبري، ج٩، ص٤٤١، السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٤٦٩.

واستغنى عن الإمارة، فقبض عضد الدولة عليه وعلى إخوته[١]، لكن ركن الدولة لما علم بفعل ابنه مع بختيار، وبخه، وأطلق سراح بختيار وعاد إلى العراق[٢]، إلا أنه في سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م تجددت رغبة عضد الدولة في الاستيلاء على العراق[٣]، وذلك بعدما ترامى إليه أنباء أن بختيار عمل على استمالة فخر الدولة بن ركن الدولة، وأبي تغلب بن حمدان[٤]، وغيرهما، إلى الاتفاق على معاداته[٥]، ولِما رأى من عظمة العراق وملكه، ولَما علم بختيار بذلك تجهز لمواجهته، وكانت البداية عند مسير عضد الدولة إلى الأهواز[٦]

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، المكتبة العصرية، ج٨، ص١٣٧.

(٢) الأنطاكي، يحيى بن سعيد: تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٩٩٠م، ص١٥٨، ١٥٩، ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص ١٧٩٧: ١٧٩٩، ابن واصل، محمد بن سالم جمال الدين: التاريخ الصالحي، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء عليهم السلام والخلفاء والملوك، يؤرخ من بدء الخلق حتى ٦٣٦هـ. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ج٢، ص٦٧.

(٣) ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج٢، ص٣٦٥.

(٤) أبو تغلب بن حمدان: الغضنفر عدة الدولة أبو تغلب ابن الملك ناصر الدولة بن حمدان، ولي الموصل بعد أبيه، ثم قصده عضد الدولة، فانهزم أمامه، وفر إلى الشام، قتل في ٣٦٩هـ/٩٧٩م. "ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣، ص٥٩".

(٥) ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص١٨٠٥.

(٦) الأهواز: كان اسمها أيام الفرس خوزستان، وهي بلد جمعت سبع كور، وهي: الأهواز، وجنديسابور، والسوس، وسرق، ونهربين، ونهرتيري، ومناذر. "البكري: معجم ما استعجم، ج١، ص٢٠٦، قيل: إن أهلها معروفون بالبخل والحمق، ووجوه أهلها مصفرة، وهي كثيرة الحمى. "ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢٨٤، ٢٨٥.

والتقى الجيشان هناك، ودارت بينهما الحرب(١)، فخان بختيار بعض عسكره وانضموا إلى عضد الدولة، فكان النصر له(٢)، ووقع بقية جيش بختيار بين أسير وجريح ومقتول(٣).

وأعقب ذلك أن توجه جيش عضد الدولة إلى البصرة لفتحها في ٣٦٧هـ/٩٧٧م(٤)، وقد كان أهلها منقسمين، فمضر(٥) تهوى عضد الدولة، وربيعة(٦) تميل إلى بختيار، فلما انهزم بختيار في الأهواز ضعف أمر ربيعة،

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، م٨، ص١٨٧، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٢٦.

(٢) ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص١٨٠٦، المقريزي: السلوك، ج١، ص٢٨، حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي، ص٤١٢.

(٣) إسماعيل بن عباد، رسائل الصاحب، ص١٩، ابن واصل: التاريخ الصالحي، ج٢، ص٧٢.

(٤) الأنطاكي: تاريخ الأنطاكي، ص١٨٤.

(٥) مضر: كانوا أهل الكثرة والغلب بالحجاز، ولهم الرياسة بمكة، ويجمعهم فخذان عظيمان، هما: خندق وقيس ثم انقسمت مضر إلى خندق وقيس عيلان، لأنه كان لمضر بن نزار من الوالد اثنان: إلياس وقيس، فأما قيس فتشعبت إلى ثلاثة بطون من كعب وعمرو وسعد، بنيه الثلاثة، ، وولد إلياس ثلاثة: مدركة، وطبخة وممقة. "المقدسي: البدء والتاريخ، ج٤، ص١٠٨، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: العبر وديوان المبتدأ والخبر في ذكر العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط٥، دار القلم، بيروت، ١٩٨٤م، ج٢، ص٣٦٢".

(٦) ربيعة: ابن نزار بن معد، ولد أسعد، وأكلب، وضبيعة، وهم بطون كثيرة، وديارهم ما بين الجزيرة والعراق، ومنهم قبيلة جديلة "المقدسي: البدء والتاريخ، ج٤، ص١٢٣، ابن خلدون، العبر، دار القلم، ج٢، ص٣٥٩".

وقويت مضر، وكاتبت عضد الدولة بالنفوذ إليها[١]، فسير إليها عضد الدولة جيشًا فتحها[٢]، وعمل عضد الدولة على إزالة الأحقاد بين قبائلها وعشائرها، وتم الصلح بين مضر وربيعة[٣].

ثم توجه جيش عضد الدولة إلى واسط[٤]، وقد اجتمع فيها بختيار مع ما تبقى من عسكره، فلما علم بمسير عضد الدولة إليه، اضطرب أمر بختيار ومن معه، وتفرقت كلمتهم حول الصلح مع عضد الدولة من عدمه، وحُسم الأمر بطلب بختيار العفو والصلح من عضد الدولة، فتم الصلح، وخرج بختيار من بغداد إلى الشام[٥].

وعلى الرغم من خروج بختيار بعد الصلح إلى الشام، إلا أن أحد أتباعه، ويدعى العباس بن فليسار[٦] حدثته نفسه بالاستيلاء على النهروان[٧]،

---

(١) ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص١٨٠٦، ابن كثير: البداية والنهاية، المكتبة العصرية، ج٨، ص١٤٢.

(٢) ابن العميد: تاريخ المكين، ص٤١٧، أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص١١٦، العيني: مخطوطة عقد الجمان، ج١، لوحه ٨٦.

(٣) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص١٩.

(٤) واسط: من بلاد العراق سميت بذلك لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة، وهى شديدة الحر، بلاد سبخة البناء، لا نبت فيها، قليلة الغرس والزرع، فعمل الحجاج بن يوسف على إصلاح أرضها ليكثر الغرس والزرع. "ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٣٤٨، ٣٥٠".

(٥) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص١٩، ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص١٨٠٦، ١٨١٢.

(٦) العباس بن فليسار: لم أستدل على ترجمته.

(٧) النهروان: مدينة صغيرة من أعمال بغداد، يشقها نهر في وسطها يسمى النهروان، وبها بساتين وقرى عامرة، وغلات نافعة. "الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٦٦٩".

فأرسل إليه عضد الدولة جيشًا قوامه ثلاثة آلاف رجل للتصدي له، فقام العباس بقطع جسر النهروان حتى لا يتمكن أبو القاسم من عبوره، إلا أنه عبره على عبّارات، والتقى الطرفان، وانهزم العباس وجنده، وقُتل(١).

وفي سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م، لما توفي ركن الدولة بالري، حضر إليها مؤيد الدولة، وانفصل عن أصبهان، وأقر أبا الفتح بن العميد على ما كان عليه من الوزارة، وكان الصاحب بن عباد يكتب لمؤيد الدولة، فقيل: إن ابن العميد حسد الصاحب على شدة قربه من مؤيد الدولة، فحمل الجند على الشغب، وقد علم مؤيد الدولة بذلك، فأمر بإعادة الصاحب إلى أصبهان(٢).

وللصاحب دور في القضاء على أبي تغلب بن حمدان في سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م، وكان السبب وراء ذلك أن عضد الدولة حينما عنَّ له الاستيلاء على بغداد من بختيار وقامت بينهما الحرب من أجل ذلك، فقد ناصر ابن حمدان بختيار، وخاض معه الحرب ضد عضد الدولة(٣)، فلما انتصر عضد الدولة ودخل بغداد، فر أبو تغلب هاربًا إلى دمشق مستغيثًا مستنجدًا(٤)، ومنها

(١) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص٢٠.

(٢) الهمذاني: تكملة تاريخ الطبري، ص٤٥٠، مسفر الزهراني: نظام الوزارة، ص١٠٧.

(٣) الأنطاكي: تاريخ الأنطاكي، ص١٨٤، ١٨٥، ابن واصل: التاريخ الصالحي، ج٢، ص٧٢، ٧٦.

(٤) ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص١٨١٦، ابن العبري، غريغوريوس أبى الفرج بن هارون: تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٨٩٠م، ص٢٩٨.

إلى طبرية[١]، فأعلم الصاحب بن عباد عضد الدولة بحاله، وفى ذلك يقول الصاحب: " .. عرفت سيدي حال ابن حمدان حين نفته الأرض عن مناكبها، وضاقت عليه من جوانبها، ومُحي اسمه من صحيفة الأحياء، إلا ما أملى له لاستكمال الشقاء .."، فلما علم عضد الدولة بحال ابن حمدان، أرسل في أثره يتعقبه، وكاتب عرب الشام في الخلاص منه[٢]، فتتبعه المفرج بن دغفل بن

(١) طبرية: من الشام، وهي قصبة الأردن، بين الجبل والبحيرة، وهى ضيقة، حارة الماء، لا يستطيبها الغرباء، كثيرة الأسماك خفيفة الماء. "المقدسي، محمد بن أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق، ١٩٨٠م، ج١، ص١٥٠، ١٥١"، سميت بذلك لأن طباري ملك الروم بناها. "البكري: معجم ما استعجم، ج٣، ص٨٨٧".

(٢) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص١٢.

الجراح الطائي[١] صاحب الرملة[٢]، وقامت الحرب بينهما فهُزم ابن حمدان[٣] وأُخذ أسيرًا، ثم قتل[٤].

وبعد الانتصار على أبي تغلب، وفرحًا بذلك، ومدحًا في عضد الدولة، أنشأ الصاحب بن عباد قصيدة لذلك مدح بها عضد الدولة، ومنها:

ضممت على أبناء تغلب تاءها فتغلب ما كرّ الجديدان تغلب[٥]

---

(١) المفرج بن دغفل بن الجراح الطائي: أحد قواد الدولة الفاطمية، حارب أبا تغلب بن حمدان في سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م، وانتصر عليه، وخلع عليه العزيز في ٣٨٠هـ/٩٩٠م، وولاه محاربة جيش ابن الصمصامة في الشام في ٣٨٥هـ/٩٩٥م، ومات المفرج برملة لد من فلسطين في ٤٠٣هـ/١٠١٢م. "المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا. تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٩م، ج١، ص ٢٤٩، ٢٨٧، ج٢، ص٩٩".

(٢) الرملة: قصبة فلسطين، بهية، حسنة البناء، واسعة الفواكه، قريبة من الجبل والبحر، خطت في السهل، عميقة الآبار، وبنيانها من الحجارة والطوب: "المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ص١٥١، ١٥٢".

(٣) ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص١٨١٦، النويري: نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢١٨، ابن خلدون: العبر، مؤسسة الأعلمي، ج٤، ص٤٥٣.

(٤) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص١٢، ابن العميد: تاريخ المكين، ص٤١٨، ٤١٩، ابن واصل: التاريخ الصالحي، ج٢، ص٧٦، أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص١٢٠.

(٥) الصابي، غرس النعمة محمد بن هلال: الهفوات النادرة المسمى الهفوات النادرة من المغفلين الملحوظين والسقطات البادرة من المغفلين المحظوظين، تحقيق: القدس للدراسات والبحوث، ط١، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة ١٤٢٤هـ، ص٥٥.

وفي ٣٦٩هـ/٩٧٩م أرسل الصاحب بن عباد إلى عضد الدولة يبشره بنصره على بني شيبان[١] الذين سير إليهم عضد الدولة جيشًا لمحاربتهم وإخضاعهم، وذلك لما أكثروا الهجوم على البلاد، وعاثوا فيها فسادًا[٢]، كما أنهم عقدوا الصلات والمصاهرات مع أكراد منطقة شهرزور[٣] التي عجز الأمراء عن فتحها، إذ امتنعت عليهم، فلما عجز أمراء تلك النواحي عن التصدي لبني شيبان، أرسل عضد الدولة جيشًا إلى شهرزور لتأديبهم، ولكي لا يستعين بهم بنو شيبان أو يركنوا إليهم، فملكها جيش عضد الدولة، وهرب منها بنو شيبان، فتتبعهم عسكر عضد الدولة[٤]، ودار القتال بينهم، انتصر فيه عسكر عضد الدولة، وحصدوا بني شيبان بين قتيل وأسير[٥].

ومما يدل على استقامة أمر مؤيد الدولة واستقرار إقليمه بعد تولي الصاحب بن عباد الوزارة أن الصاحب لما أُرسل في ٣٧٠هـ/٩٨٠م رسولاً من

(١) بنو شيبان: هم بطون كانت لهم كثرة شرقي دجلة في جهات الموصل، وأكثر أئمة الخوارج في ربيعة منهم، وسيدهم في الجاهلية مرة بن ذهل بن شيبان. "ابن خلدون: العبر، دار القلم، ج٢، ص٣٦٢".

(٢) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص١٣.

(٣) شهرزور: معنى شهر بالفارسية المدينة، وهي كورة واسعة في الجبال، بين إربل وهمذان، وأهلها أكراد، وهم عصاة على السلطان، ولهم بطش وشدة. "ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٧٥".

(٤) ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص١٨١٧، النويري: نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢١٨.

(٥) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص١٣، ابن خلدون: العبر، مؤسسة الأعلمي، ج٤، ص٤٥٣.

قبل مؤيد الدولة إلى أخيه عضد الدولة بهمذان[١] للتأكيد على الطاعة والموافقة له، أحسن عضد الدولة استقباله، وتلقاه على بُعد من البلد، وبالغ في الحفاوة به وإكرامه، ورسم لأكابر كتَّابه وأصحابه تعظيمه، ففعلوا ذلك[٢]، وظل الصاحب مصاحبًا لعضد الدولة حتى عاد الأخير إلى بغداد، وعاد الصاحب إلى مؤيد الدولة، بعدما أقطعه إقطاعات كثيرة، وأرسل معه عسكرًا يكون عند مؤيد الدولة في خدمته[٣].

ولعل ما دفع بعضد الدولة إلى خروجه بنفسه لاستقبال الصاحب أنه كان خير وزير لأخيه، يعمل على القيام بأعماله خير قيام، فظل مؤيد الدولة سامعًا مطيعًا لأخيه، ولم يفكر في الخروج عليه، فصلاح الملك والأمير بصلاح وزيره وحاشيته، ولذا ظل الود والوفاق دائمًا بين الأخوين عضد الدولة ومؤيد الدولة، فحفظ عضد الدولة للصاحب جهوده وشكر له سعيه، حيث لم يخرج من جهتهم أحد منشق عليه، مثلما فعل فخر الدولة الذى خرج على

(١) همذان: أعظم بلاد الجبال، مدينة كبيرة، كثيرة العامر، ولها أسواق وتجارات دائرة، وأهلها أهل نبل وفضل، وبها الكثير من الأغنام: "الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٦٧٢".

(٢) الروزراوري، محمد بن الحسين ظهير الدين: ذيل تجارب الأمم، ٣٦٩ إلى ٣٩٣هـ، مطبعة التمدن الصناعية، مصر، ١٣٣٤هـ/١٩١٦م، ج٣، ص١٠، ابن الجوزي: المنتظم، ج٨، ص٤٢٧، ابن تغري بردي: النجوم، ج٤، ص٣٧٠.

(٣) الروزراوري: ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص١٠، ١١، ابن الاثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص١٨٢١، ابن كثير: البداية والنهاية، المكتبة العصرية، ج٨، ص١٥٤.

أخيه عضد الدولة وأعلن العصيان والتمرد(١)، ولذا لما تغلب عضد الدولة على أخيه فخر الدولة، انتزع منه ما كان تحت يده من بلاد همذان والري وما بينهما من البلاد، وسلمها إلى أخيه مؤيد الدولة بن بويه، ولذا علل الروزراوري فعل عضد الدولة من استقباله للصاحب بأنه: "لغرض استمالة مؤيد الدولة وتأنيس الصاحب"(٢).

ولانتظام الأمور به، والحاجة الدائمة إليه، أرسل مؤيد الدولة إلى أخيه عضد الدولة يستطيل مقام الصاحب عنده ببغداد، ويُذكره اضطراب أموره بعده، فأنفذه عضد الدولة، فلما دخل الصاحب الري خرج الناس لاستقباله(٣).

وفى ٣٧٠هـ/٩٨٠م فتح الصاحب بن عباد بأمر من عضد الدولة قلعة سندة(٤)، واستولى عليها من ابن أبي عبد الله المري(٥)، وكانت من القلاع

---

(١) كان السبب في ذلك أن بختيار بن معز الدولة كان يكاتب ابن عمه فخر الدولة ويدعوه إلى الاتفاق معه على عضد الدولة، فأجابه إلى ذلك، فلم علم عضد الدولة بذلك أرسل إليه يعاتبه ويستميله، لكن لم يستجب فخر الدولة بالرجوع إلى طاعة أخيه، فكان أن سار عضد الدولة ودخل بجيوشه همذان، واستأمن عددًا كبيرًا من قواد فخر الدولة إليه، فانحل أمر فخر الدولة وخرج هاربًا. "ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص١٨١٨، ١٨١٩، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٢٩٨".

(٢) ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص١٠، ١١.

(٣) العاملي: أعيان الشيعة، مج٥، ص١٣٠.

(٤) سندة: بفتح أوله وسكون ثانيه، قلعة حصينة، من جبال همذان. "ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ٢٦٨".

(٥) أبو عبد الله المري: كان يقيم بسندة، وله فيها مساكن نفيسة، وبها ألقى القبض عليه وعلى أولاده، وتم اعتقالهم عقب الاستيلاء على القلعة، وظلوا في الاعتقال إلى أن ==

الحصينة التي لا ترام ولا تدك، فملكها الصاحب بن عباد عنوة، وعامل أهلها بين اللين والغلظة حتى سلموا خاضعين، وأرسل برسالة بشارة فتح القلعة إلى عضد الدولة(١).

كما أنه في ٣٧٠هـ/٩٨٠م شارك الصاحب بن عباد في فتح جرجان، وذلك على إثر عصيان فخر الدولة على أخيه عضد الدولة، وانضمامه إلى قابوس بن وشكمير (٢) بعد ما أخذ منه عضد الدولة ما كان يحكمه من بلاد(٣)، وسلمها إلى مؤيد الدولة، وراسل عضد الدولة قابوس ليسلم إليه أخاه فخر الدولة، فرفض قابوس، فعزم عضد الدولة على محاربة قابوس(٤)، وأوعز بذلك

أطلقهم الصاحب بن عباد فيما بعد، واستخدم ابنه أبا طاهر واستكتبه، وكان حسن الخط واللفظ. "ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص١٨٢١".

(١) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص٨، ٩، ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ١٨٢١، ابن خلدون: العبر، مؤسسة الأعلمي، ج٤، ص٤٥٦.

(٢) قابوس بن وشمكير: شمس المعالي بن زياد الديلمي، صاحب جرجان وطبرستان، كان فاضلاً، أديبًا، مترسلاً شاعرًا، إلا أنه ذكر عنه أيضًا أنه كان فيه عسف وشدة، فسئمه عسكره وتغيروا عليه، وحسنوا لابنه منوجهر القبض عليه، ففعل، وسجنه بالقلعة، توفي في ٤٠٣هـ/١٠١٢م."الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٤، ص٧٨، ٧٩.

(٣) ابن العميد: تاريخ المكين، ص٤١٩، ابن اسفنديار، بهاء الدين محمد بن حسن: تاريخ طبرستان، ترجمة: أحمد محمد نادي، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٣٠٩.

(٤) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص٤، ٥، ٢٥، ابن واصل: التاريخ الصالحي، ج٢، ص٧٧.

إلى أخيه مؤيد الدولة، وأمره بالمسير إلى جرجان، وطبرستان[١] وإجلاء صاحبها قابوس عنها، فاستجاب مؤيد الدولة لأخيه[٢]، ورحل بجيشه الذى يضم الصاحب بن عباد، والتقى الفريقان في منطقة استراباذ[٣]، وانضم إلى عسكر مؤيد الدولة جيش المدد المرسل من عند عضد الدولة لأخيه، وراسل الصاحب قابوس ومن معه عله يرجع، فلما لم يستجب وجب القتال[٤]، وحفر قابوس خندقًا أجرى فيه الماء، وبنى عليه أبراجًا، أقام فيها الرماة، وأخلى طبرستان كلها من العساكر التي حشدها معه، فلما علم مؤيد الدولة بذلك أنفذ إلى طبرستان عسكرًا ملكها، ونزل على موضع للماء متخذه معسكرًا يجالد منه قابوس، وكان أن خرج من موضعه هذا بجزء من عسكره ليبحث عن واد يسلكه يعبر منه إلى قابوس، وأقام على الجبل من يمنع ويرد الاعتداء[٥]، ولكنه ما إن بعد عن العسكر حتى خرج عسكره يروم لقاء عسكر قابوس، فاشتد القتال بين الطرفين، فلما علم مؤيد الدولة بذلك، رجع ورد أصحابه، ورد قابوس كذلك أصحابه بعد أن كثر القتل في الفريقين، وإن كان في أصحاب

---

(١) طبرستان: إحدى بلاد الديلم، قريبة من جرجان، وهي بلاد كثيرة، عامرة، كثيرة المياه والثمار والأشجار، وأبنيتها من الخشب والقصب، والمطر عندهم في أكثر الأوقات "الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٦٧٨".

(٢) ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص١٨٢٣، أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص١٢٢، ابن خلدون: العبر، مؤسسة الأعلمي، ج٤، ص٤٥٥، العيني: مخطوطة عقد الجمان، ج١، لوحه ٩٥.

(٣) استراباذ: بلدة كبيرة مشهورة ببلاد الديلم، أخرجت خلقًا من أهل العلم، وهي من أعمال طبرستان."ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٧٤".

(٤) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص٦، ابن واصل: التاريخ الصالحي، ج٢، ص٧٧.

(٥) الروزراوري: ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص١٦، ١٧.

المؤيد أكثر، أما قابوس وفخر الدولة فقد فرا إلى نيسابور[١]، وكان يلي خراسان حسام الدولة أبو العباس تاش[٢]، فاستنجدا به، فكتب إلى الأمير أبي القاسم نوح بن منصور يُعرفه خبرهما، فأمر نوح بمساعدتهما، وإعادتهما إلى ملكهما، فانضم عسكر خراسان إلى قابوس وفخر الدولة، وساروا نحو جرجان فحاصروها مدة شهرين، وبها مؤيد الدولة[٣]، وهنا أرسل مؤيد الدولة قائده بدر بن حسنويه[٤] في عدد كبير من العسكر الأتراك والأكراد إلى الجبل الحاجز

(١) نيسابور: قريبة من الري وسرخس ومرو، وهي أرض كثيرة الفواكه والخيرات، ليس لها ماء جار إلا نهر يخرج فضله في السنة، ولا يدوم ماؤه، وأكثر شرب أهلها من قنوات تجري تحت الأرض."الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٤٦١، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٣٣١".

(٢) حسام الدولة أبو العباس تاش: ولاه الأمير نوح بن منصور السامانى قيادة جيش خراسان في ٣٧٠هـ/٩٨٠م، فدبر أمر خراسان، ونظر في أحوالها، وأطاعه جندها، ثم أُسند إليه تدبير بخارى، توفي في ٣٧٧هـ/٩٨٧م."ابن الأثير: الكامل، دار الكتب العلمية، ج٧، ص٣٩٧، ابن خلدون: العبر، مؤسسة الأعلمي، ج٤، ص٦٦٦".

(٣) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص٢٧، العتبي، محمد بن عبد الجبار: اليميني في شرح أخبار السلطان يمين الدولة وأمين الملة محمود الغزنوي، تحقيق: إحسان ذنون الثامري، دار الطليعة، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ص٥٣، الجرديزي، أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك: زين الأخبار، ترجمة: عفاف السيد زيدان، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ٢٠٠٦م، ص٢٣٠، ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص١٨٢٣، ابن واصل: التاريخ الصالحي، ج٢، ص٧٧، ابن اسفنديار: تاريخ طبرستان، ص٣١٠، خواندمير: روضة الصفا، ص١٩٢.

(٤) بدر بن حسنويه: الكردي، من أمراء الجبل، لقبه الخليفة القادر بناصر الدولة، وعقد له لواء، وكان يبر العلماء والزهاد والأيتام، واستحدث ثلاثة آلاف مسجد وخان للغرباء، وكان يبعث بالأموال إلى الحرمين، توفي في ٤٠٤هـ/١٠١٣م. "ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣، ص١٧٣، ١٧٤".

بين الفريقين ليضبطه، حتى لا يسير قابوس على أثرهم وينال منهم، وليتمكن من الاستعداد للقتال مرة أخرى، وبالفعل بعد مضي أسبوع، بالإضافة إلى التجهز والاستعداد في مدة أربعة أيام(١)، خرجوا إلى جرجان، وكان مؤيد الدولة قد كاتب أحد قادة خراسان ويسمى فائقًا(٢) فأطمعه ورغبه، فأجابه إلى الانهزام عند اللقاء، فلما وقع الاشتباك بين الفريقين، حملت ميمنة مؤيد الدولة على ميسرة قابوس فكسرتها، فانهزم، فلما علم جيشه بهزيمته انهزم لاحقًا تبعًا له(٣)، ووقع كثير منهم في القتل والأسر(٤) وفر قابوس إلى نيسابور مرة أخرى ومعه فخر الدولة بن بويه، وحسام الدولة بعد هزيمتهم، وملك مؤيد الدولة الخندق، وغنم جميع ما في معسكر قابوس من مال وسلاح ورقيق(٥)، ومما أسهم في

(١) الروزراوري: ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص١٧.

(٢) فائق: أبو الحسن فائق بن عبد الله الرومي، قيل له: الخاصة، لاختصاصه بالسلطان منصور بن نوح الساماني والي خراسان، فإنه رباه، وكان مختصًا به، ولي أكثر مدن خراسان أميرًا نيفًا وأربعين سنة، وكانت داره مجمع العلماء والمحدثين، توفي في ٣٨٩هـ/٩٩٩م. "السمعاني: الأنساب، ج٢، ص٣٠٩".

(٣) الروزراوري: ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص١٧، ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص١٨٢٣، ابن العميد: تاريخ المكين، ص٤٢٠، ابن اسفنديار: تاريخ طبرستان، ص٣١٠.

(٤) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص٧.

(٥) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص٨، ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص١٨٢٤.

هزيمتهم أن فيلهم العظيم الذي توارثته آل سامان[١] قد أُخذ منهم[٢]، وحصل في يد الصاحب بن عباد من ضمن ما تم الاستيلاء عليه من معسكرهم[٣]، ومن شدة الفرح بسقوط الفيل نظمت فيه القصائد[٤]، وبعد مدة أطلق الصاحب بن عباد ما أخذوه من الأسرى بعد سكونهم، وذلك حقنًا للدماء التي سالت في اثنتى عشرة حربًا جرت بينهما، ما انصرفوا عن واحدة منها إلا وقد استحر الجرح في كبار رجال خراسان، وجاء منهم الكثير يطلبون الأمان، وللصاحب بعد النصر على قابوس ومن معه رسالة يقول فيها: "... وأوزعني الله أن أشكر نعمة الله وقد أيدنى وأيد بي، وأصلحني وأصلح على يدي، ووفقني لأن انتضتني يد الخلافة صارمًا أذب عن أنصار الملة فمضيت، وارتضتنى حاكمًا أقضي على كفار النعمة، فقضيت مفوضًا في كل حال إليه عز ذكره، وموقنًا أن القوة به، والأمر أمره"[٥]، كما نظم الصاحب القصائد فرحًا بفتح جرجان[٦].

---

(١) آل سامان: جدهم أسد بن سامان، من أهل خراسان، ويُنتسبون تارة إلى الفرس، وتارة أخرى إلى سامة بن لؤي بن غالب، وكان لأسد أربعة من الولد، هم: نوح، وأحمد، ويحيى، وإلياس، تقدموا عند الخليفة العباسي المأمون واستعملهم، فتولى نوح على سمرقند، وأحمد على فرغانة، ويحيى على الشاش وأشروسنة، وإلياس على هراة، ثم انساحوا في البلاد وتملكوها، فانتشرت دولتهم من حدود جلوان إلى بلاد الترك وما وراء النهر، وكانت من أحسن الدول سيرة وعدلاً."ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٦، ابن خلدون: العبر، دار القلم، ج٣، ص٣٨٩".

(٢) العتبي: اليميني، ص٥٧.

(٣) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص٢٧، ٢٨.

(٤) الثعالبي: يتيمة الدهر، مج٣، ص٢١٣، ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، مج٥، ص٢٦٤: ٢٦٦.

(٥) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص٨.

(٦) المافروخي: محاسن أصفهان، ص٦٢.

ومما أشار فيه الصاحب بن عباد بالرأي على فخر الدولة الرجوع عن رد قابوس بن وشمكير إلى أعماله التي كان يتولاها، إذ إن فخر الدولة لما استقر له الملك، كان قد عزم على رده، قضاءً لحقه، ومقابلة له على إحسانه معه من قبل، إلا أن ابن عباد صده عن رأيه، وعظم له ما يخرج منها من خيرات، فرجع فخر الدولة عن عزمه(١).

على أنه قد تواتر أنه في ٣٧١هـ/٩٨١م عزم عضد الدولة على القبض على الصاحب، وأنه يدبر في هذا الأمر، ولم يُذكر لذلك سبب، وحدث أنه تسرب هذا الخبر إلى الصاحب عن طريق القاضي التنوخي(٢)، فلما علم عضد الدولة بذلك وبإذاعة ما انتوى عليه وبالتالى إفساده(٣)، أمر بالقبض على التنوخي، وأمره بلزوم بيته، وعزله عن أعماله التي كان يتولاها(٤)، ولم تفصح المصادر عن السبب وراء ذلك، وعلى ما يبدو فسعي عضد الدولة إلى

(١) الروزراوري: ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص٢٩٧.

(٢) التنوخي: القاضي أبو علي المحسن بن علي بن محمد بن داود، ولد بالبصرة، ولي على المعيار بدار الغرب بسوق الأهواز في ٣٤٦ هـ/٩٥٧م، ثم ولي القضاء ٣٤٩هـ/٩٦٠م، وله عدة مصنفات، منها: الفرج بعد الشدة، نشوار المحاضرة، المستجاد من فعلات الأجواد، توفي في ٣٨٤هـ/٩٩٤م، عن سبع وخمسين سنة. "ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣، ص١١٢".

(٣) الروزراوري: ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص١٩.

(٤) التنوخي: نشوار المحاضرة، ج٤، ص٩٣، ٩٤، ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص١٨٢٤، العيني: مخطوطة عقد الجمان، ج١، لوحه ٩٥.

القبض على الصاحب كان حقيقة، يعضده ما أورده الأصفهاني في ٣٧٠هـ/٩٨٠م من خبر مصادرة الصاحب بن عباد(١).

وفي سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م توفي عضد الدولة(٢)، وجلس ابنه صمصام الدولة أبو كاليجار (٣) على العرش(٤)، ثم في العام التالى ٣٧٣هـ/٩٨٣م مرض مؤيد الدولة، فلما اشتدت به العلة أوعز إليه الصاحب أن يعهد بالأمر من بعده إلى من يراه أصلح، ويطيعه الجند حتى يمّن الله عليه بالشفاء، فترك مؤيد الدولة هذا الأمر له، فما هو إلا شُفي مما فيه، فلما شفي؛ نصحه الصاحب بالتوبة، والتبرؤ من الأموال التى أخذت بغير وجه حق، ورد المظالم، فاستجاب له مؤيد الدولة وفعل(٥)، فهكذا كان الصاحب لا يتوانى عن تقديم المشورة والنصيحة بما يراعي مصلحة البلاد.

(١) البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٢٦٦.

(٢) ابن العمراني، محمد بن علي: الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص١٨١، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٤٧٢، عصام الفقي: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، ص١٩٠.

(٣) صمصام الدولة: ابن عضد الدولة، تملك بعد أبيه مدة، ثم زال ملكه وأُخذ، وسُملت عيناه، وحُبس، ثم أُخرج بعد مدة وهو أعمى، فملكوه بفارس أعوامًا، ثم قُتل في ٣٨٨هـ/٩٩٨م. "الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ج١٦، ص٥٠١".

(٤) ابن العمراني: الإنباء، ص١٨١، القرماني: أخبار الدول، ج٢، ص١٥٦، ١٥٧، حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي، ص٤١٤.

(٥) الروزراوري: ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص٩١، ٩٢، ابن الجوزي: المنتظم، ج٨، ٤٤٨.

وتظهر حسن سياسة الصاحب للأمور بما اتخذه من تدابير عقب وفاة مؤيد الدولة، إذ تشاور مع أكابر الدولة فيمن يقوم مقامه، وهنا جاء دور الوزير المخلص لصالح البلاد والعباد الصاحب بن عباد، والذي أشار بإعادة فخر الدولة إلى مملكته على الرغم مما تقدم منه من تمرد وعصيان، وما جرى معه من خطوب وحروب، وعلَّل الصاحب اختياره لفخر الدولة بتولي ملك أخيه بقوله إنه هو كبير البيت، ومالك تلك البلاد قبل مؤيد الدولة، ولما فيه من آيات الإمارة والملك، فكتب إليه واستدعاه وهو في نيسابور(١)، وحثه على الإسراع بالمجيء، وعمل هو على ضبط الأمور لحين قدومه، فصرف العطاء للجند، وجعل أبا العباس خسروفيروز بن ركن الدولة في الإمارة تسكينًا للفتنة، وإزالة لما قد يحدث من خلاف حتى قدوم فخر الدولة، ولما علم الصاحب بقرب وصول فخر الدولة أعلم الصاحب بن عباد الجند بجرجان بأنه إنما أخذ البيعة لخسروفيروز على أنه خليفة لفخر الدولة، وأمرهم بأنه فور وصول فخر الدولة فعليهم المبادرة إلى تلقيه وخدمته، فتحرك فخر الدولة صوب جرجان، فلما دخلها دانت له عساكرها وأهلها بالطاعة، وفور وصوله، خرج الصاحب لاستقباله، فرحب به فخر الدولة، وبالغ في إكرامه، وأخذت البيعة له بالطاعة، واستقرت الإمارة عليه(٢).

ثم بادره الصاحب بعزل نفسه عن الوزارة والخدمة، قائلاً لفخر الدولة: "يا مولانا، قد بلغك الله، وبلغتني فيك ما أمّلته، ومن حقوق خدمتي لك إجابتي

(١) ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص١٨٢٩، ابن خلدون: العبر، مؤسسة الأعلمي، ج٤، ص٤٥٧.

(٢) الروزراوري: ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص٩٣، ٩٤، العيني: مخطوطة عقد الجمان، ج١، لوحه ١٠٠.

إلى ترك الجندية، وملازمة داري والتوفر على أمر الله، فقال: "... لا تقل هذا، لك في هذه الدولة من إرث الوزارة كما لنا من إرث الإمارة، فسبيل كل واحد منا أن يحتفظ بحقه.. فما أريد الملك إلا لك، ولا يستقيم لى أمر إلا بك، وإذا كرهت ملابسة الأمور كرهتها أنا أيضًا وانصرفت"، فكان أن تراجع الصاحب، ونزل على رغبة فخر الدولة، وتولى الوزارة له(١)، فأكرمه فخر الدولة وعظمه، واستمع لآرائه في صغير الأمور وكبيرها(٢).

هذه المحاورة ليس أدل ولا أبلغ منها على كفاءة الصاحب وإخلاصه، وتقدير ما يقدمه من مجهودات جعلت فخر الدولة يربط قبوله الملك ببقاء الصاحب وزيرًا له حتى ولو كان كلامه على سبيل المبالغة.

وقد اختلف المؤرخون في عودة فخر الدولة إلى ملكه، بين أنه كان بإشارة من الصاحب(٣)، وبين أن فخر الدولة استولى(٤) على الملك، بعدما رأى أنه الأحق به، لأنه كان ملكه من قبل.

ولعل المرجح أن الصاحب هو من أشار برجوع فخر الدولة إلى ملكه بعد وفاة أخيه مؤيد الدولة، ولذا أقره فخر الدولة في الوزارة، متناسيًا ما لاقاه

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، المكتبة العصـــرية، ج٨، ص١٦٠، ابن خلدون: العبر، مؤسسة الأعلمي، ج٤، ص٤٥٧، خواندمير: روضة الصفا، ص١٩٣.

(٢) ابن زهرون: رسائل ديوان الصابي، ج١، ص٣٣٦، الروزراوري: ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص٩٤، ٩٥، ابن الجوزي: المنتظم، ج٨، ص٤٤٨، ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص١٨٢٩، الخوانساري: روضات الجنات، ج٢، ص٢١.

(٣) ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص١٨٢٩، ابن خلدون: العبر، مؤسسة الأعلمي، ج٤، ص٤٥٧.

(٤) أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص١٣٠، الصفدي: الوافي، ج١١، ص٣١٥، القلقشندي: مآثر الإنافة، ج١، ص١٢١، بزرك الطهراني: نوابغ الرواة، ج١، ص١٤٤.

منه من حروب وقت عصيانه على عضد الدولة، فلعله غفر له ذلك، لكونه صاحب الفضل في رجوعه إلى عرشه.

والدليل على أن الصاحب هو من أشار بعودة فخر الدولة إلى ملكه، ومسامحة فخر الدولة له بسبب ذلك قول فخر الدولة عنه بعد وفاته لأحد جلسائه: "... وقد علمت ما عاملنا به أبو القاسم إسماعيل بن عباد، وأننا طوينا جميع ما كان بيننا وبينه، واستأنفنا معه من الإكرام والتفويض ما لم يظنه"(١).

وفي سنة ٣٧٣هـ/٩٨٣م أعمل الصاحب بن عباد الحيلة بمعاونة فخر الدولة للتخلص من علي بن كامة، وذلك بأن اتفق الصاحب مع ساقٍ كان لعلي بن كامة بأنه يضع له السم في الشراب(٢)، وحدث أن عمل علي بن كامة دعوة، ودعى فيها الناس للحضور، ومن المدعوين فخر الدولة ووزيره الصاحب، فلبيا الدعوة، وراسلا الساقي وزوداه بالسم من عندهما، فطرح الساقي السم في بعض خزائن الشراب، فلما دخل علي بن كامة إلى خزائنه يتذوق منها، أصاب بعض ما كان به السم، فأرداه قتيلاً، فأنفذ فخر الدولة إلى قلاعه من أخذها، وإلى أعماله من تولاها(٣)، وعلى الرغم من أن علي بن كامة كان

(١) الروزراوري: ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص٢٦٥.

(٢) البيهقي، علي بن زيد: تأريخ بيهق. ترجمة: يوسف الهادي، ط١، دار إقرأ للنشر، سورية، دمشق، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٢٦٠.

(٣) الروزراوري: ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص٩٥، على حين ذكر ابن الأثير أن وفاة علي بن كامة كانت فى ٣٧٥هـ/٩٨٥م. "الكامل، دار الكتب العلمية، ج٢، ص١٨٣٣".

ركن آل بويه، يعتمدون عليه، إلا أنهم أقدموا على الخلاص منه، إذ قد تردد أن علي بن كامة يريد نقل الملك إلى صهره(١).

ومن دبلوماسية الصاحب أنه قبل السعي في الصلح بين صمصام الدولة، وبين فخر الدولة(٢)، في ٣٧٤هـ/٩٨٤م، وقد حفزه على ذلك أبو عبد الله بن سعدان(٣)، الذي كاتب الصاحب في هذا الأمر، وذلك لعلمه أن الصاحب "شيخ دولته، وعميد مملكته، والمتقدم ... لجميع الناس في مؤازرته ومظاهرته، والمشاركة له، والتقرب إليه، وحسن المآب عنه"(٤).

وعلى الفور، استجاب الصاحب لهذا النداء، وكتب بأنه ومولاه فخر الدولة يفضلان التناصر والتناصف، ويعرضان عن التباعد والتخالف(٥)، وعرض الصاحب الأمر على فخر الدولة الذى استجاب لوزيره(٦)، وحدث أن تأخر رد وزير صمصام الدولة على الصاحب بعدما جرت المراسلات بينهما في هذا الأمر، فساء الصاحب ذلك، وساءه أن تتأخر أجوبة ابن سعدان في

(١) البيهقي: تأريخ بيهق، ص٢٦٠.

(٢) الروزراوري: ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص٩٨، العيني: مخطوطة عقد الجمان، ج١، لوحه ١٠١.

(٣) أبو عبد الله بن سعدان: وزر لصمصام الدولة في ٣٧٣هـ/٩٨٣م، ولم تطل مدة وزارته، إذ اتُهم بالعمل مع أعداء صمصام الدولة، فقتله في ٣٧٥هـ/٩٨٥م. "ابن خلدون: العبر، دار القلم، ج٣، ٥٣٦، ج٤، ٣٢٣".

(٤) ابن زهرون: ديوان رسائل الصابي، ج١، ص٧، ابن حمدون: التذكرة، مج٦، ص٣٤٨: ٣٥٤.

(٥) ابن زهرون: ديوان رسائل الصابي، ج١، ص٣٣٢.

(٦) الروزراوري: ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص١٠٠، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٣٠٠.

أمر الصلح، فأرسل إليه ابن سعدان معتذرًا بكثرة انشغاله، فتبودلت الرسائل بهذا الشأن مرة أخرى(١)، وأرسل صمصام الدولة الخلع إلى فخر الدولة(٢)، وتمت المصالحة.

وهكذا، فالمكانة التى حازها الصاحب لدى ملوك بني بويه لم تأت من فراغ، ولكن نتيجة جهده وإخلاصه لهم، فقد كان هو أيضًا يجلهم ويوقرهم(٣)، ولا يمضي أمرًا إلا بعد الرجوع إليهم، ومما يذكر في ذلك: أن خال فخر الدولة نصر بن الحسن بن الفيروزان كان قد عصى على فخر الدولة، واستولى على جزء من بلاده، وهزم عسكره في عدة مواقع، وقتل جماعة منهم، فجمع له فخر الدولة الجموع وحاربه حتى هزمه، فهرب نصر، ولجأ إلى الري مستغيثًا بالصاحب بن عباد، واقفًا على بابه، فلم يأذن له الصاحب بالدخول إلا بعد أن يترضى فخر الدولة ويعف عنه، ومع أن هذا الفعل استهجنه الناس من الصاحب(٤)، لكن ما حداه على ذلك الحرص على مرضاة فخر الدولة، وعدم التجاوز في حق العاصى إلا بعد العفو عنه ممن يملك ذلك.

---

(١) ابن زهرون: ديوان رسائل الصابي، ج١، ص٣٣٩، ٣٤٠، الروزراوري: ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص٩٩.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، المكتبة العصرية، ج٨، ص١٦١، خواندمير: روضة الصفا، ص١٩٣.

(٣) نصر بن الحسن بن الفيروزان: ذُكر عنه أنه كان مقدامًا، شجاعًا، قليل المبالاة، دارت بينه وبين عسكر فخر الدولة الحروب، حتى تمكن منه فخر الدولة، فقبض عليه، وحبسه. "ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٦٩١، ٦٩٢.

(٤) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٦٩١، ٦٩٢.

كما بلغ من مكانة الصاحب أن يحرص الكثير على مراسلته، والكتابة إليه في الأمور العامة والخاصة، ففى ٣٧٥هـ/٩٨٥م لما انتصر جيش صمصام الدولة على القرامطة(١) في الكوفة(٢)، كتب كل من الصابي، وأبي الريان حمد بن محمد(٣) إلى الصاحب بالنصر عليهم، كل منهما يبشره بالأمر نفسه(٤)، بل إن أبا الريان لما تولى الوزارة لصمصام الدولة، أرسل بذلك رسالة إلى الصاحب بن عباد، سائلاً إياه إمداده دومًا بالرأي والمشورة(٥).

وقد دأب الصاحب بن عباد على مباشرة أمور الفتح، والقضاء على المناوئين بنفسه، ففي سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م سار الصاحب بن عباد مع الجيش إلى طبرستان، فعاقب المتمردين بها، وأمر بنفيهم، وأصلحها، وقام بفتح عدة

(١) القرامطة: ظهر القرامطة في العراق في القرن الثالث الهجري، ومنهجهم شيعي، يكفرون من لم يكن على مذهبهم، هذه الحركة استمدت عقائدها من المذهب الإسماعيلي، أبرز من ظهر منهم: أبو طاهر القرمطى: سليمان بن أبى سعيد، الذي قتل الحجاج، وأخذ الحجر الأسود، وخرب زمزم، ونهب أستار الكعبة في عام ٣١٧هـ/ ٩٢٩م، مات ٣٣٢ هـ/ ٩٤٣ م. "ابن كثير: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، ج١١، ص ١٤٤، القرماني: أخبار الدول، ج٣، ص ٨٧".

(٢) ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص١٨٣٤، ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر: تاريخ ابن الوردي، ط٢، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ج١، ص٤٢٦.

(٣) أبو الريان حمد بن محمد: الوزير الأصبهاني، كان خاله أبو القاسم الواذاري أستاذ دار ملك عضد الدولة، فلما توفي؛ قلده عضد الدولة ما كان إليه، ثم اتخذه وزيرًا له، فلما توفي عضد الدولة، استدعاه صمصام الدولة وقلده الوزارة، فدبر الأمور بضعة أشهر، ثم قُبض عليه، وقتل في ٣٧٥هـ/٩٨٥م. "الصفدي: الوافي، ج١٣، ص٩٩".

(٤) ابن زهرون: ديوان رسائل الصابي، ج١، ص٤٠٥- ٤٠٧.

(٥) المصدر السابق، ج١، ص٤٠٥.

حصون، منها: حصن اسمه قريم[١]، فأحسن ضبط الولاية، وسعى في دفع أهل الفتنة[٢]، وعاد إلى جرجان في نفس العام منتصرًا[٣]، بعد أن استرد الملك من قابوس، وحرر جميع القلاع، خاصة وأن قابوس كان قد جلس معزولاً ثمانية عشر عامًا في نيسابور[٤]، فلم يستطع التصدي للصاحب وجيشه.

وفي سنة ٣٧٨ هـ/٩٨٨م عصى نصر بن الحسن بن الفيروزان بالدامغان[٥] فخر الدولة، وظن أن قلاع الدامغان تحميه إذا ما نهض فخر الدولة لمحاربته، وانضم إليه مجموعة من عسكر الديلم، فأرسل إليه فخر الدولة عسكرًا من الري لمحاربته، فلما علم نصر أن فخر الدولة لن يتركه، وأنه جد في طلبه ومحاربته، ولا يقوى على التصدى له، راسل فخر الدولة في العفو، والعود إلى الطاعة، فأجابه فخر الدولة إلى ذلك، مراعاة لحق أبيه وذويه[٦].

---

(١) حصن قريم: لم أستدل على تعريفه.

(٢) خواندمير: روضة الصفا، ص١٩٣.

(٣) ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصـــرية، ج٢، ص ١٨٤٠، ابن اســـفنديار: تاريخ طبرستان، ص١٥١.

(٤) ابن اسفنديار: تاريخ طبرستان، ص١٥١.

(٥) الدامغان: بلد كبير بين الري ونيســـابور، وهي مدينة كثيرة الفواكه، والرياح لا تنقطع بها ليلاً ونهارًا، وبها مقســـم للماء يخرج ماؤه من مغارة في الجبل، وقد نســـب إلى الدامغان جماعة وافرة من أهل العلم. "ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٣٣.

(٦) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص١١٢، ١١٣، ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص١٨٤٢.

وعزم فخر الدولة على التوجه إلى بغداد للاستيلاء عليها فى ٣٧٩هـ/٩٨٩م، شجعه على ذلك وفاة شرف الدولة[١] حاكمها، وعلى الرغم من جلوس ابنه بهاء الدولة[٢] على عرش العراق، إلا أن فخر الدولة كانت الحماسة تدفعه للتوجه إليها والاستيلاء عليها، وزاد من حماسته إلى ذلك أن الصاحب بن عباد كان دائم الحديث عن بغداد، وعن حبه لها وللرياسة فيها، ويتحين الفرصة لاقتناصها، ذلك أنه في ٣٤٧هـ/٩٥٨م، قد أُغرم ببغداد عندما قدم إليها مع مؤيد الدولة[٣]، ليخطب الأخير من معز الدولة ابنته[٤]، وأعجبته بغداد كثيرًا، ولما رجع منها دخل على ابن العميد، فسأله: "كيف وجدت بغداد؟ فقال: بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد"[٥]، فلما مات شرف الدولة، وجد الصاحب أن الفرصة المرتقبة واتته، فسير إلى فخر الدولة من يُعظم له أمرها في عينيه، ويُسهل عليه فتحها، أما هو فلم يشأ أن يحدّث فخر الدولة في أمر

---

(١) شرف الدولة: سلطان بغداد، ابن السلطان عضد الدولة الديلمي، كان فيه خير، وقلة ظلم، تملك بغداد سنتين وثمانية أشهر، مرض بالاستسقاء، وتوفي في ٣٧٨هـ/٩٨٨م، وله تسع وعشرون سنة. "ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣، ص٩٤".

(٢) بهاء الدولة: السلطان أبو نصر ابن شرف الدولة، وصاحب العراق وفارس، حكم بضعًا وعشرين سنة، وتوفي بأرجان في سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م، وله اثنتان وأربعون سنة."الذهبي: العبر في خبر من غبر. تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط٢، الكويت، ١٩٨٤م، ج٣، ص١٧، ٢٤، ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣، ص١٦٦".

(٣) ابن الدمياطي: المستفاد، ص٨٦.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج٨، ص٤٤٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٤٤.

(٥) الثعالبي: لطائف المعارف، ص١٧١، ابن الأنباري: نزهة الألبا، ص٢١٥، الأزدي: بدائع البدائة، ص٢١ على هامش الجزء الثاني من معاهد التنصيص، العاملي: أعيان الشيعة، مج٥، ص١٢٧.

فتحها بنفسه، خوفًا من العاقبة[١]، فلما استشاره فخر الدولة في فتحها، فكان رده أن الأمر يرجع له، وما يُذكر من جلالة تلك الممالك مشهور لا خفاء به[٢]، فاستقر عزم فخر الدولة على فتحها، وقسم الجيش إلى قسمين، قسم به الصاحب بن عباد وبدر بن حسنويه يسلك طريقًا إليها[٣]، والقسم الآخر به فخر الدولة وبقية العسكر يسير على طريق أخر، وبعد أن طوى الصاحب بعض مراحل الطريق، تحدث البعض إلى فخر الدولة أنه من الخطأ مفارقة الصاحب، إذ لا مأمن من أن يستميله أولاد عضد الدولة، فيميل إليهم، فخاف فخر الدولة من ذلك، وأمر الصاحب بالعود إليه، فعاد، وسار الجميع على طريق الأهواز[٤]، ثم سبق الصاحب إليها ليملكها، حتى إذا وافى فخر الدولة إليها تكون قد دخلت تحت ملكه بالفعل، فدخلها الصاحب أولاً، وملكها، ولحق به فخر الدولة بعد عشرين يومًا من امتلاك الصاحب لها. وقد تطلع الجند في الأهواز إلى ما سيقرره فخر الدولة من عطاء لهم وإنعام عليهم، لكن لم يكن منه ما انتظروه، بل وأكثر من ذلك فإنه حظر على القادة في خوزستان[٥] التصرف في إقطاعاتهم أو ما يرتفع ويُحصّل منها، بالإضافة إلى أن قادة

(١) الروزراوري: ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص١٦٣، ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص١٨٤٤، ابن خلدون: العبر، مؤسسة الأعلمي، ج٤، ص٤٦٢.

(٢) الروزراوري: ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص١٦٣، ١٦٤.

(٣) العتبي: اليميني، ص٨٣، خواندمير: روضة الصفا، ص١٩٣.

(٤) الروزراوري: ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص١٦٦.

(٥) خوزستان: تقع شرقي دجلة، وهي أرض حسنة، ثرية، موضعها فسيح، كثيرة الماء، وبلادها كثيرة، منها: الأهواز، وعسكر مكرم، وتستر، وجند يسابور، وأكبر أنهارها تستر. "الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٣٩٣".

الديلم الذين وصلوا مع فخر الدولة وجدوا أن إقطاعاتهم بالرى والجبال(١) كانت تتراوح بين عشرين ألفًا إلى ثلاثين ألف درهم، بينما كل واحد من قادة الديلم الخوزستانية إقطاعه ما بين مائتي ألف إلى ثلاثمائة ألف درهم، فكثر تحاسدهم وتحاقدهم، وقال بعضهم لبعض: "إنما حملنا الصاحب إلى هذه البلاد طلبًا لهلاكنا"، وساءت الظنون منهم(٢).

أما بهاء الدولة فقد جرد العساكر للقاء فخر الدولة وجيشه الذى ضم بدر بن حسنويه في أربعة آلاف من الأكراد، كما ضم دبيس بن عفيف(٣)، فلما تلاقت الفئتان، انهزم جيش فخر الدولة(٤)، وقد قيل في أسباب الهزيمة: إن المعركة كانت بقرب أنهار، وجاءت زيادة في النهر، فظن أصحاب فخر الدولة أن الماء فتح عليهم بمكيدة من بهاء الدولة ليغرقوا فيه، فهربوا إلى الأهواز(٥). كما ذُكر: أن بدر بن حسنويه وقف على الأرض واعتزل الحرب متقاعسًا عنها، وأن دُبيس بن عفيف انصرف قبل المعركة، كما اتُّهم الصاحب

(١) الجبال: جمع جبل، اسم علم للبلاد المعروفة باصطلاح العجم بالعراق، وهي ما بين أصفهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور والري، وتسمية العجم له بالعراق خطأ، ولعل مرده أن سلطان السلاجقة كان إذا ملك العراق، دخلت هذه البلاد في ملكه، فكانوا يسمونه سلطان العراق."ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٩٩".

(٢) الروزراوري: ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص١٦٥، ١٦٦.

(٣) دُبيس بن عفيف: من بني أسد، كان لهم محلة خاصة تعرف بهم تسمى الحوزة وهي موضع حازه دبيس بن عفيف في أيام الخليفة الطائع لله، ونزل فيه، وله أبنية به، وهو بين واسط والبصرة وخوزستان، توفي في ٣٨٦هـ/٩٩٦م. "ابن الأثير: الكامل، دار الكتب العلمية، ج٧، ص٤٨٦، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ٣٢٦".

(٤) العتبي: اليميني، ص٨٤، الروزراوري: ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص١٦٩، ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص١٨٤٤.

(٥) خواندمير: روضة الصفا، ص١٩٤.

ايضًا بأنه كان أحد أسباب الهزيمة، إذ تقاعس هو الآخر عن القتال، إذ أثّر في قلبه ريبة فخر الدولة فيه، وخوفه من أن يميل إلى أولاد عضد الدولة، فأسرها في نفسه(١)، وانعكس أثرها على اللقاء، كما ذُكر: أن الصاحب قد أصابه المرض وهو بالأهواز، ثم برئ منه، وتصدق بجميع ما كان في داره من مال وثياب وأثاث بعد شفائه(٢).

وعلى أية حال، ولتدارك الهزيمة، أشار الصاحب بن عباد على فخر الدولة ببذل الأموال للجند، والتوسعة عليهم، واستمالتهم بالعطايا، فهذا أحرى بهم أن يقاتلوا بجانبه، وذكر الصاحب أنه يضمن لفخر الدولة رد ما يطلقه لهم من أموال بعد مضي سنة واحدة، وذلك مما سيترتب من حصيلة تلك البلاد في حال الاستيلاء عليها، فلم يستجب فخر الدولة لذلك، ولم يزد على كونه أزال الحظر عن إقطاعات قواد الأهواز، لكن لم يكن هذا بالقدر الكافي لإرضائهم، فلم ينصاعوا له، وأخذ الناس في التسلل عنه، منضمين إلى أصحاب بهاء الدولة، فلما رأى فخر الدولة ذلك، قرر الانصراف والعودة إلى الري(٣).

(١) الروزراوري: ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص١٧٠، ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص١٨٤٤.

(٢) الروزراوري: ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص١٧١.

(٣) العتبي: اليميني، ص٨٤، الروزراوري: ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص١٧٠، ١٧١، ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص١٨٤٤، ابن خلدون: العبر، مؤسسة الأعلمي، ج٤، ص٤٦٢.

وفي ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م لما استقر ببخارى[١] الأمير نوح بن منصور[٢] قرر كل من أبي علي بن سيمجور[٣]، وفائق مكاشفته بالعصيان، فلما عزما على ذلك، كتب الأمير نوح إلى سبكتكين[٤] يعرفه بالأمر، ويأمره بالسير إليه لينجده، فأجابه، وجمع العساكر وحشدها، فلما علم أبو علي وفائق الخبر، راسلا فخر الدولة بن بويه يستنجدانه، ويطلبان منه عسكرًا، فاستشار فخر الدولة وزيره الصاحب بن عباد في هذا الأمر، فحسّن له ذلك وقرره، فسيّر فخر الدولة إليهما عسكرًا كثيرًا[٥]، وكان أن اجتمع سبكتكين ونوح وقصدا أبا علي وفائقًا، فالتقى الطرفان بنواحي هراة[٦]، واقتتلوا، وانحاز بعض أصحاب

---

(١) بخارى: من أعظم مدن ما وراء النهر، بينها وبين نهر جيجون يومان، وكانت قاعدة ملك آل سامان، وهي كثيرة البساتين، تكثر بها الفواكه، وبها خضرة، ويحسن أهلها العمارة. "ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٥٣".

(٢) العتبي: اليميني، ص١٠٢.

(٣) أبو علي بن سيمجور: أبو علي المظفر بن ناصر الدولة أبي الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور، واسمه محمد، تولت أسرته ولاية خراسان وتوارثوها، فعُد من أكملهم عقلاً، وكان يحضر مجالس العلماء، توفي في ٣٨٧هـ/٩٩٧م "السمعاني: الأنساب، ج٣، ص٣٦٣، ٣٦٤".

(٤) سبكتكين: صاحب بلخ وغزنة، كان فيه عدل وشجاعة ونبل، مع عسف، استولى على طوس، وقيل: إنه أخرب مشهد الرضا بها، وقتل من يزوره، كانت دولته عشرين سنة، ومات في ٣٨٧هـ/٩٩٧م. "الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ج١٦، ص٥٠٠.

(٥) الجرديزي: زين الأخبار، ص٢٣٤، ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص١٨٥٩، العيني: مخطوطة عقد الجمان، ج١، لوحه ١١١.

(٦) هراة: من أمهات مدن خراسان، بها بساتين كثيرة، ومياه غزيرة، ونباتها النرجس، وبها الكثير من العلماء وأهل الفضل، خربها التتار فى ٦٨١هـ/١٢٨٢م."ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٣٩٦، ٣٩٧".

أبي علي إلى نوح بن منصور، فانهزم أصحاب أبي علي، ومضى أصحاب سبكتكين فيهم يأسرون ويقتلون ويغنمون، وعاد أبو علي وفائق إلى نيسابور، فصار إليهما للحاق بهما نوح وسبكتكين، فلما علم بهما أبو علي سار هو وفائق نحو جرجان، وكتبا إلى فخر الدولة بأمرهما، فأنزلهما جرجان، وأرسل إليهما الهدايا والتحف والأموال(١)، واستولى نوح بن منصور على نيسابور، ثم عاد إلى بخارى(٢).

ومات الصاحب وهو على وزارته لفخر الدولة، وقد بلغت مدة وزارة الصاحب لكل من مؤيد الدولة، ثم أخيه فخر الدولة ثماني عشرة سنة وشهورًا(٣)، وفتح الصاحب ما قُدر بخمسين قلعة، سلمها إلى فخر الدولة، لم يجتمع مثلها إلى أبيه ولا أخيه(٤).

ثالثًا: دوره الحضاري(٥):

---

(١) العتبي: اليميني، ص١٢٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصـــرية، ج٢، ص١٨٥٩، ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج١، ص٤٣٢.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج٩، ص٣٠، يـاقوت الحموي: معجم الأدبـاء، ج٢، ص ٦٦٣، الصـفدي: الوافي، ج٩، ص٧٧، السـيوطي: بغية الوعاة، ص١٩٦، حاجي خليفة: سلم الوصول، مج١، ص٣١٨.

(٤) التنوخي: نشـوار المحاضـرة، ج٥، ص٢٣، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٦٩٤، ابن كثير: البداية والنهاية، المكتبة العصـرية، ج٨، ص١٧٣، حاجي خليفة: سـلم الوصـول، مج١، ص٣١٨، الخوانسـاري: روضـات الجنات، ج٢، ص٣٠.

(٥) أغلب مادة هذا المبحث غير مؤرخ بالسنوات، لخلو المصادر التي تم الاعتماد عليها من تحديد الفترة الزمنية، فلم تؤرخ للحدث.

لم تقتصر جهود وزراء العصر البويهي على النواحي السياسية والعسكرية فقط، بل تجاوزت ذلك إلى النواحي الإدارية والمالية والاقتصادية والعلمية، فأسهم الوزراء في تطورها وتقدمها، غير أن دور الوزراء في السياسة والشئون العسكرية حظى بقدر كبير من عناية المؤرخين واهتمامهم، في الوقت الذي لم تحظ فيه النواحي الأخرى سوى بنزر يسير من المعلومات(١).

الإدارة:

وقد شارك الصاحب بقوة في العناية بالشئون الإدارية في البلاد حتى قبل توليه الوزارة، ففي ٣٥٢هـ/٩٦٣م، وبناء على أوامر صدرت من ركن الدولة، قام بنقل السنة الخراجية(٢) وتقديمها، فنُقلت من سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة إلى سنة ثلاث، وذلك ليزول التفاوت الذي تخلل السنين بين الشهور الخراجية والشهور الهلالية، ولتكون المعاملات جارية على وقتها(٣).

---

(١) مسفر الزهراني: نظام الوزارة، ص١٦٧.

(٢) السنة الخراجية: لما حدث تداخل السنين القمرية في السنين الشمسية، أُسقط عند رأس كل اثنتين وثلاثين سنة قمرية سنة، وسموا ذلك الأزدلاق؛ لأن كل ثلاث وثلاثين سنة قمرية اثنتان وثلاثين سنة شمسية بالتقريب، وذلك يحدث بسبب تأخير الشهور الشمسية عن الشهور القمرية في كل سنة أحد عشر يومًا وربع يوم، وزيادة الكسر عليه، وهذا كله مرتبط بالخراج، فالسنة الخراجية مركبة على حكم السنة الشمسية. "ابن مماتي، أسعد بن المهذب: قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال عطية، ط١، مكتبة مدبولي، مصر، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٣٥٨، المقريزي: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، ط١، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، لندن، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، م١، ص٧٤٠- ٧٤٧".

(٣) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص٦٤.

وكان الصاحب بن عباد حريصًا على أن يولي الأكفاء في الأعمال المختلفة، ولم يكن يقتصر على إصدار أمره للعمال بالأعمال، بل يكتب لهم كتبًا تشتمل على ما يجب أن يكونوا عليه في أعمالهم، وناصحًا لهم ومحذرًا أيضًا، وقد ثبت فعله هذا مع من تولى وظيفة الولاية وكذلك القضاء والحسبة.

تعيينه الولاه:

أما تولية الولاة على الولايات المختلفة، فكان يكتب لهم كتبًا يأمرهم فيها بتقوى الله حق تقاته، ومراقبته في السر والجهر، كما يأمرهم بالمحافظة على إقامة الصلوات، وتدبر القرآن، وعليهم إشاعة العدل بين الرعية، واستيفاء حقوق بيت المال، وحفظ الطرق من أهل العبث والفساد، وكذلك أمرهم بتخير أصحابهم وكتابهم ومساعديهم، إذ هم السفراء بين الرعية والولاة، أيضًا أمرهم بتعهد متولي دار الضرب بالمراقبة، وإعانته على المحافظة على عيار العملة، ولم يفته أن يحدثهم بأمر أهل الذمة، واستيفاء الجزية منهم طبقًا للشرع، كما أمرهم باستيفاء الصدقات، وحراسة المكاييل والموازين، ومحو آثار الظلم والجور، والعمل على عمارة الولايات وتحصينها(١).

وقد عمل الصاحب على أن تسود مشاعر الود والبسط بينه وبين الولاة، مصادقًا ومصاحبًا لهم، وقد بيَن السبب وراء ذلك، فقال: "إن مودتي لفلان ليست لدواعي الرغبة وبواعث الرهبة ... وإنما قصدي عمارة موقعي من رائه، وأن يعدني في أول نصحائه ... يُحلني محل من يُرجع إليه، ويُعول على ما لديه..."(٢)، وكذلك كان دائم النصح والتحذير لهم، فكان يقول مناصحًا

(١) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص ٤٦- ٥٠، وانظر أيضًا، ص ٥٣- ٥٨، وكذلك انظر ص٢٠٥.

(٢) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص ٨٠، ٨١.

ومحذرًا:".. من نظر لدينه، نظرنا لدنياه، فإن آثرت العدل والتوحيد، بسطنا لك الفضل والتمهيد، وإن أقمت على الجبر، فليس لك إلا الكسر "(١).

كان الصاحب بن عباد يتفقد أحوال الولايات من تلقاء نفسه، ويتخول أحوال أهلها، فإذا ما وجد تقصيرًا، فإنه يعيبه على متولي الولاية، ويوبخه ويقرظه على ذلك، كما فعل حينما علم أن بني لاحق(٢) يُقْدِمون على اقتحام السجون تارة، وتارة يجبرون القاضي على الرحيل، وثالثة يأمرون أهل البلد بإغلاق الدكاكين، وبعد كل هذه الأفعال، يتلقون أبا الجيش أساتكين(٣) مستغيثين متظلمين، ويتعجب الصاحب من أن والي البلاد لم يكتب إليه مخاطبًا إياه في أمر هؤلاء، لذا أرسل إليه يوبخه ويقرعه، وأمره بمصادرة أملاك بني لاحق وخيامهم، وإرسالهم إلى أصبهان، كما أمره أن يُدل أبا الجيش على من تعصب لهم أو ثار في الفتنة معهم أن يؤدبهم، إما بالسياط، أو بتغريم المال، وأن من سار سيرة هؤلاء من العامة، فجزاؤه الصلب على باب البلد(٤).

وكان الصاحب ينصف من يأتيه بمظلمة دون النظر إلى ملته ومذهبه، فحينما رفع إليه رجل مجوسي مظلمة ضد والي قزوين في مال صادره له، استعلم الصاحب عن الأمر، ثم أرسل إلى والي قزوين رسالة شديدة

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٧٠٨.

(٢) بنو لاحق: أصحاب الرياسة من بني يزيد، وأصلهم من بني زغبة، محل الكثيرة والشرف، أقطعهم الموحدون بالمغرب الأراضي، فصار للدولة استظهار بهم، وزادت الدولة بهم عناية، وأقطعوهم الأوطان، حتى غلبوا على تلك الأوطان. "ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٥٥".

(٣) أبو الجيش أساتكين: لم أستدل على ترجمته.

(٤) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص ١٨٢، ١٨٣.

يأمره فيها برد الحق على المجوسي، قائلاً له. ".... غرك بعدنا منك، وإمهالنا فيك، فأحذر يوم المحاسبة وخزى المعاقبة، وقد جف ريقك على لسانك، وشهد قبح آثارك بسوء فعالك، وردً إلى هذا المجوسي ماله، فإن تلك الدراهم عقارب وأراقم، إن غنمتها في يوم غرمتها لغد، والسلام"(١).

ورفعت إليه امرأة مظلمة ضد صاحب لفولاذ بن مانادر(٢) أحد القادة الديالمة، وذكرت أنه ينازعها في حق لها، فما زاد الصاحب على أن نظر بعينيه إلى فولاذ، فخاف وارتعد، وأرسل مع المرأة من أرضاها وأزال ظلامتها(٣).

تعيينه القضاة:

أما عن القضاء فقد أولى الصاحب بن عباد اهتمامًا كبيرًا به، وحرص في كل مرة يولي فيها قاضيًا أن يردف توليه له بكتاب يضم مناصحته وموعظته، وكان الكتاب المرسل إلى مسئولي القضاء مشتملاً على: الأمر بتقوى الله، والعمل بكتاب الله، وسنة رسوله "صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم"، والعمل أيضًا بالإجماع، مع البعد عن الابتداع والاحتراس منه، فإذا لم يجد القاضي ضالته في ذلك، فعليه إعمال النظر والاستبصار، والصبر على

(١) القزويني: التدوين في أخبار قزوين، ج٢، ص٢٠١، ٢٠٢.

(٢) فولاذ بن مانادر: قيل كان ابتداء أمره وضيعًا، فنجب فى دولة بني بويه وعلا سيطه، واجتمع إليه الرجال، ثم طلب من مجد الدولة أن يقطعه قزوين، فلم يفعل، فأظهر العصيان في الري، فأخرج له جيشًا حاربه حتى هُزم، لكنه استجمع جيشه وعاود الإغارة على الري، فاضطر مجد الدولة إلى مداراته، فسلمه مدينة أصبهان، قتل فى ٤٤٩ هـ/١٠٥٧م " ابن الأثير: الكامل، دار الكتب العلمية، ج٨، ص٩٧، ٣٣٨.

(٣) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص ٦٩٣.

ذلك حتى يصل لمراده، وعليه الأخذ بأقوال السلف وفقهاء الأمة، وأمره بالمشورة، كما بيَّن له أن عليه شروطًا يجب أن يستوفيها في نفسه، وهي: أن يهذب نفسه، ويؤدبها ويروضها على الحلم والصبر، وأن يجلس للحكم بعد قضاء أوطاره، وجمعه لوقاره، وأن يعدل بين الخصوم في مجالس القضاء، وأن يتحرى عدالة الشهود من المسلمين ويتعرف أحوالهم، كما أمره بأن يحافظ على مال اليتيم ويضع المواريث مواضعها، وألا يفسخ حكم القضاة قبله إذا كان مما يسوغ الرأى فيه، لأنه لو نُقِضَ الاجتهاد بالاجتهاد ، لما استقرت أحكام قضاة البلاد(١)، ونصحه بالنظر إلى الدنيا بعين الخارج عن أبوابها، والمنافسة في الآخرة منافسة الواثق بثوابها وعقابها(٢).

وأكد على القضاة في أمر تزويج الأيامى(٣) اللاتي ولايتهن إليه، متخيرًا الأكفاء، كما شدد على ضرورة حفظ مال اليتامى، وأن ينصب للوقوف ويعين فيها من يحسن وقوفه عليها، لئلا تبور أصولها بالضياع، وأن يُمهل من ثبت أنه معسر، وأن يعين لحفظ السكك في دور الضرب أمناء يحرسون العيار، ونبه على حرمة الدم، وأنه إذا رُفع إليه ما يوجب حدًّا أو قطعًا أو قتلاً

(١) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص٣٤- ٣٧، القزويني: التدوين، ج٣، ص١١٩- ١٢٤.

(٢) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص٥٢، ٥٣، القزويني: التدوين، ج٣، ص١٢٤.

(٣) الآيامى: الذين لا أزواج لهم من الرجال سواء تزوج من قبل أو لم يتزوج، وكذلك تطلق على المرأة التي لا زوج لها بكرًا كانت أو ثيبًا. "ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، د . ت، ج١٢، ص٣٩".

أو جلدًا، أن يأخذ بأبعد المذاهب من إباحة ظهر المسلم، وإراقة دمه، فإنه الحرمة العظمى(١).

وحينما بلغ الصاحب بن عباد أن قاضي قاسان(٢) خالف ما يجب أن يكون عليه، واستوثق من ذلك، قام بعزله، وتولية آخر مكانه، مخاطبًا إياه بما يجب أن يكون عليه(٣)، حتى يقوم القضاء بحقه.

تعيينه المحتسب:

لم يغفل الصاحب بن عباد وهو يولي محتسبًا للبلاد أن يرسل معه الكتاب المشتمل على ما يجب أن يكون عليه، فحرص على أن يوضح للمحتسب معنى الاحتساب، وهو الاشتمال على الأمر بالمعروف، والزجر عن المنكر، والتواصي بالمحامد، والتناهي عن المقابح(٤).

ثم استرسل الصاحب، فأمر المحتسب بتقوى الله، والاهتمام بأمر المعايير والمكاييل، والسوية بين الرعية في المنع عن المجاهرة بما يُحظر، والمبادرة فيما يُنكر، وعدم التفرقة في المعاملة بين ذوي العسرة واليسرة، وأن عليه إلزام النساء إذا ارتدن الأسواق أن يضربن بخمرهن على جيوبهن، وعليه مراعاة السلع، وخلوها من الغش، وإعطاء الطريق حقه بالمنع من سد الشوارع

---

(١) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص٣٧- ٣٩، وانظر أيضًا ص ٤٢- ٤٦.

(٢) قاسان: مدينة في ما وراء النهر، في حدود بلاد الترك، وهي عامرة، آهله، كثيرة الخيرات، واسعة المساحات. "ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٩٥، وهي عند قم، قريبة من أصبهان، وأهلها من الشيعة، وبها جماعة من أهل العلم. "السمعاني: الأنساب، ج٤، ص٤٢٦".

(٣) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص٥١، ٥٢.

(٤) المصدر السابق، ص٣٩، ٤٠.

بأمتعة الباعة، وبضائعها، كما أن عليه أن يُلزم أهل الذمة بلبس الغيار(١)، ليتميز عن المسلمين الذين ألبسهم الله ثوب العزة، وأذن الصاحب للمحتسب في حبس من يجب حبسه(٢).

تعيينه العمال:

وفي إمارة فخر الدولة، عمل الصاحب بن عباد على ألا يكون للعامل الواحد في الدولة أكثر من وظيفتين، وذلك حتى يتسنى لجميع الرعية الاشتغال بالوظائف، ولا يترك أحدًا بطالاً، وكان الاشتغال بأكثر من وظيفة سائدًا من قبل(٣)، إلا أنه قد حدث ما جعل الصاحب يُنهي ذلك ويقتصر للعامل على وظيفة واحدة فقط، وذلك لما ساوره الشك في جماعة من القوم يقدر عددهم بثلاثين أو أربعين شخصًا، كانوا يخرجون كل يوم إلى مكان يقال له "مطل القادة"(٤) فلما ارتيب في أمر خروجهم كل يوم إلى هناك، أُحضروا وسُئلوا عن ذلك، فقالوا: إنهم يخرجون للتنزه، فلما لم ينطل هذا الكلام على فخر الدولة والصاحب، أقروا بأنهم بلا عمل، وأنهم يخرجون هناك كل يوم لعلهم يقابلون

(١) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص ٤٠، ٤١.

(٢) الغيار: نوع من الملبوس تميز به أهل الذمة عن المسلمين فى العصور الوسطى، ومثله الزنار، علامة أهل الذمة المجوس. "زين العابدين شمس الدين نجم، معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، ط١، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٣٩٤".

(٣) الطوسي: سير الملوك، ص٢٠٧.

(٤) مطل القادة: كانت مقبرة بناها رجل مجوسي يُدعى "بزرجوميد" له، وكانت تطل على قبة لفخر الدولة، وأنفق فيها أموالاً شتى، إلا أن محتسب خراسان احتال بحيلة للصعود إلى المقبرة، وأذن للصلاة من عليها، فانتهك قدسيتها على مذهب المجوس، فأصبحت تعرف منذ ذلك الحين بـ "مطل القادة". "الطوسي: سير الملوك، ص٢٠٥".

أحدًا من أصحاب محمود بن سبكتكين[١]، فيعرفونه أنهم يريدون قصده لعلهم يجدون لديه عملاً يشتغلون به، فأنزلهم الصاحب بن عباد في قصره، وأكرمهم، وانتزع لهم من أصحاب العملين في الدولة عملاً لكل واحد منهم[٢]، وكان هذا مبدأ إقرار أن لكل عامل عملاً واحدًا.

والصاحب إن بلغه عن عامل تقصير في عمله، فلا يبادر إلى عزله، بل يمهله فرصة أخرى مصحوبة بتبصيره بخطئه وتقصيره حتى يتلافاه، فإذا استدرك وتلافى أبقاه، وإلا عزله[٣].

توزيعه الإقطاعات:

كذلك حرصًا على مصلحة البلاد وعدم استئثار الديالمة بالأملاك والضياع، أصدر الصاحب أمره بحل الإقطاعات التي بأيديهم، وذلك بعد تعويضهم عنها، وود لو أن ذلك تم في ساعته، ولكنه رسم بأن يتم ذلك في مدة سنة أو سنتين حسبما يتيسر، حتى لا تُوغر صدور الجند، فارتجاع ذلك منهم يقتضي الرفق والتهمل[٤].

---

(١) محمود بن سبكتكين: سيف الدولة أبو القاسم بن الأمير ناصر الدولة أبي منصور، قام بفتح غزنة، ثم بلاد ما وراء النهر، ثم استولى على سائر خراسان، وفرض على نفسه غزو الهند، وكان ذكيًا، موفق الرأي، توفي في ٤٢١هـ/١٠٣٠م. "الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج٣، ص١٤٧".

(٢) الطوسي: سير الملوك، ص٢٠٦، ٢٠٧.

(٣) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص١٨٢.

(٤) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص٧٨، ١٩٢، مسفر الزهراني: نظام الوزارة، ص١٧١.

وقد جرت عادة الصاحب ودأب على قضاء الحوائج، وكان يقصده الناس في ذلك حتى إنه لما كتب له الصابي يطلب منه إعادة إقطاع إلى صاحبه قال له: ".. فإن رأى الصاحب الجليل أن يأتي في ذلك كله ما يجده ويعده ويرعاه ويحفظه، جاريًا على المألوف من مثابرته على ما عاد علينا وعليه معنا بطيب الذكر والبشر، وثناء اليوم والغد، فقد أنفذنا هذا الكتاب...." (١).

تأمينه الحاج:

ومراعاة لقدسية شعيرة الحج، فقد أولاها الصاحب اهتمامًا بالغًا، وسير الكتب إلى أمراء الحاج بشأن العناية بهم، والمحافظة عليهم، وتمهيد وتعبيد الطرق لهم، وتأمينها، وذلك لحفظهم ذهابًا وإيابًا(٢).

تأمينه الثغور:

وعن اهتمام الصاحب بالثغور(٣) فحدث ولا حرج، فقد شدد في هذا الأمر على أهل الثغور والقائمين عليها، وقد حرص هؤلاء بدورهم على إرسال المكاتبات إليه يخبرونه بحفظها والقيام على صيانتها، واستقامة أمرها، فكان يحمد لهم ذلك ويشكره، لأنه حماية للدين، واهتمام الصاحب بذلك أدى إلى أن انحسرت أطماع العدو عن الثغور(٤).

(١) ابن زهرون: رسائل ديوان الصابي، ص٣٨٩، ٣٩٠.

(٢) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص٥٨، ٦٧، وانظر أيضًا: ص٧١- ٧٣.

(٣) الثغور: هى المواضع القريبة من بلاد الكفار، يرابط المسلمون بها، أو يكون من بلدة هى آخر بلاد المسلمين."السمعاني: الأنساب، ج١، ص٥٠٧"، فهو موضع المخافة من فروج البلدان. "الرازي: مختار الصحاح، ج١، ص٣٦".

(٤) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص ٦٧، ٦٨.

الحريات المذهبية:

وحينما بلغ الصاحب أن أهل قزوين[١] دائمًا في شجار وتخاصم وتنازع حول مذاهبهم، وظهر من بينهم من تزعم بعض العوام، وأوهموهم أنهم يحمونهم ويحمون مصالحهم ويدافعون عنهم، وأقبل هؤلاء الزعماء على إخافة من لم يخضع لهم، حتى قيل: إنهم منعوهم من التسوق والتكسب، ولخوف الناس من الزعماء، فإنهم بحاجة إلى حراسة أملاكهم ومنازلهم من هؤلاء، هنا كتب الصاحب بن عباد إلى صاحب قزوين بأن يجمع وجوهها وأعيانها ويُعلمهم أنهم لن يلزموا أحدًا بالعدول عن مذهبه إلى مذهب معين، بل يلزم كل واحد ما ارتضاه لنفسه من المذاهب، لكن بدون مضرة لأحد، ولا تباين وخصومة مع أحد، فمن استجاب لذلك ولزمه فقد عصم نفسه وماله، ومن سعى للفتنة فقد استبيحت نفسه، وأنه على كل قوم أن يُخرِجوا من بينهم كل ساع بالفتنة، حتى تستقر البلاد، ويُقبل كل قوم على مباشرة أمورهم ومكاسبهم[٢].

الرفق في الجبايات:

وكان الصاحب دائم السعي لمصلحة الرعية، حريصًا على عدم إثقال كاهلهم بما قد يفرض عليهم من أموال، وحينما بلغه أن رجلاً ساعيًا رفع رقعة إلى فخر الدولة يتعهد فيها أنه يستوفي على المستغلات والأملاك بأصفهان خارجًا عن الحقوق ثلاثمائة ألف درهم –وكان فخر الدولة آنذاك في حاجة

---

(١) قزوين: ثغر لبلاد الجبل، بينها وبين الري تسعون ميلاً، وهي مدينة حسنة، وليس لها ماء جار إلا مقدار شربهم، وماؤهم يجري في قناة إلى الجامع، وهو ماء ليس بصادق الحلاوة. "الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٦٧٨".

(٢) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص٩٣، ٩٤، وانظر أيضًا: ص١٨٣، ١٨٤.

إلى الأموال لأنه يريد فتح جرجان– فاستحضر الصاحب الرجل، وأمر بالتحفظ عليه، وتعهد الصاحب لفخر الدولة بأنه سيحضر له المال لكن من وجه آخر غير الرعية بعنت أو مكروه ينالهم، فطلب الصاحب هذا المال وجمعه من عشرة رجال مياسير، لم يؤثر فيهم تأثيرًا كثيرًا(١).

وعقب فتح جرجان في ٣٧٣هـ/٩٨٣م، اتخذ الصاحب بن عباد قرارًا إداريًّا بإسقاط مال رسوم الإرصاد(٢) بأصبهان، والإعفاء من ذلك، لما يلحق بالتجار منه من أذى، فعمل على إلغاء البذرقة(٣) والمكس(٤) فيها، حتى يعود هذا بالنفع على ذوي البضائع وأولي التجارة، وأرباب البيوع، وأصحاب الزراعات، ويمتد هذا إلى البلاد المجاورة. وجدير بالذكر أن هذا الرصد كان مرفوعًا في سائر البلاد سوى أصبهان، فرأى الصاحب أن رفعه في أصبهان أحق، وبين أنه أسقطه مريدًا به وجه الله والتخفيف، غير مبالٍ بما كان يتحصل منه من كثرة الأموال، وليصرف عن الرعية العشارين(٥) الذين عادتهم

(١) العاملي: أعيان الشيعة، مج٥، ص١٣٨، بدوي طبانه: الصاحب ، ص٩٧، ٩٨.

(٢) الإرصاد: الرصد: الإعداد، وأرصد له أى أعده. "جبران مسعود: الرائد، معجم لغوي عصري، ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م، ص٤٥".

(٣) البذرقة: كلمة فارسية ومعناها الخفارة ويقال لها عصمة، أي: يُعتصم بها."ابن منظور: لسان العرب، ج١٠، ص١٤".

(٤) المكس: ما يأخذه العشار من كل من باع شيئًا، فيأخذ منه الخراج أو العشر. "ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص٢٢١".

(٥) العشارين: هم الذين يتولون الجباية المقدرة بالعشر ممن هو مستحقة عليه. "الرازي: مختار الصحاح، ج١، ص١٨٢".

الظلم، ليجتاز المجتاز وليس يقابله معارض ولا مستوقف ولا مطالب، كما رتب الصاحب لحافظي طرقات البلاد ما يحتاجون إليه من بيت المال(١).

وكان الصاحب يحرص على الرفق بأهل القرى تبعًا لحالهم، ويعمل على جباية الخراج دون تشدد، إقامة للدين، مع مراعاة لمقتضى الحال، وذلك مثلما فعل مع أهل الدينور(٢)؛ إذ لما بلغه اختلال أمورهم، مع كثرة عددهم، وما عليه حال أغلب أهل الخراج من الضعف والمسكنة، أمر بتعهدهم واستخراج الخراج منهم على أعدل السنن وأخف القوانين، بدون زيادة تلحقهم، ولا مئونة تلزمهم، وحظر على عماله أن يزيد أحد عليهم، أو يدفعوهم إلى إعطاء الرشاوى لتجنب جورهم، وأخرج تحذيره وتوصيته في كتب إلى الولاة وعمال الحرب والخراج بكورة ماه(٣) بالكوفة(٤).

ولما كتب صاحب قاسان إلى الصاحب بأن أهلها يمتنعون عن الالتزام بدفع ما عليهم فيقوم بالتجوز عنهم، أنه لا يوجد بقاسان ثقات يقومون بعملية القبض والتحصيل من الناس، ويطلب استقدام قُبَّاض من أصبهان، وكذلك

(١) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص٣١، ٣٢، وانظر أيضًا: ص١١٥، ١١٦.

(٢) الدينور: مدينة من أعمال الجبل، بين العراق والري، قريبة من همذان، وهي كثيرة الثمار والزروع، ولها مياه، ويُنسب إليها جماعة من أهل الأدب والحديث، منهم: أبو حنيفة الدينوري. "البكرى: معجم ما استعجم، ج٢، ص٦٠٧، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٥٤٦".

(٣) كورة ماه: وهى تُطلق على الدينور السابقة وتسمى ماه الكوفة."البكري: معجم ما استعجم، ج٢، ص٦٠٧".

(٤) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص٦٠، ٦١.

ذكر للصاحب أن أهل راوند[١] لا يريدون ولاية من تولى عليهم، أرسل الصاحب إليه بأن عليه استيفاء الحقوق، وأن مَن عليه مالاً من العام الماضي، فهو الآن واجب عليه سداده، ولا يُتَجَوز مع أحد في ذلك، وأما الثقات من القُبَّاض فأعلمه أنه يُلزم وجوه البلد وثقاتها بتولى ذلك، فإن كرهوا القيام به بأنفسهم فليقيموا مقامهم من يرتضونه، وأما أهل راوند فأعلمه بما يجب عليه من تحذيرهم وزجرهم، وليس لهم الاختيار في عزل وتولية الولاة، كما أنه على الوالي أن يخفف مقدار المشاهرة[٢] التى يدفعها الفرسان والغلمان القائمون بحماية راوند[٣].

(١) راوند: قلعة من أعمال مدينة خوارزم، كانت مقراً لركن الدولة بن بويه، وقد استولى عليها التتار. "ابن خلدون: العبر، دار القلم، ج٥، ص١٣٨".

(٢) المشاهرة: هي الضرائب التى كانت تفرض على الرعية شهريًا، ولذا سميت مشاهرة." حسان حلاق، عباس صباغ: المعجم الجامع فى المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م، ص٢٠٥، قاسم عبده قاسم: الأسواق المصرية في عصر سلاطين المماليك، ط١، مصر، عين للدراسات والبحوث، ١٤٣٤هـ/٢٠١٤م، ص٨٤، ٨٥.

(٣) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص٢١١.

وقد قام الصاحب في ٣٨٣هـ/٩٩٣م أو التى تليها أثناء وزارته لفخر الدولة بإسقاط الخراج عن بيهق[١] ونواحيها لمدة سنتين، كما أسقط نصف الخراج عن نيسابور، وكذلك أسقط عنها ما كان عليها من مستحقات قديمة[٢].

ولما أقدم أسفهسلار[٣] على كثرة المصادرات، ثم تعداها إلى التركات فأقدم بذلك على ظلم الأحياء، والأموات، وظن أنه لن يُحاسب، ولن يُعاقب، أرسل إليه الصاحب يحذره عواقب ما هو عليه قائلاً: "لئن لم ينزجر عما هو عليه من الظلم الوخيم، والأمر البهيم، لأنفقته نفقة أجعل الدنيا عليه حلقة خاتم، أو كفة حائل[٤]، "وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ"[٥].

سيادة الأمن والاستقرار:

وقد عنى الصاحب بأمر سيادة الأمن والاستقرار في البلاد، وكان سبيله إلى ذلك كف مروجي الشائعات عن ذلك، وتحذيرهم من مغبة هذا الفعل، خاصة أهل أصبهان الذين ذُكر عنهم إشاعتهم للحديث غير باحثين

---

(١) بيهق: أصلها بالفارسية (بيهه) بهاءين، ومعناها بالفارسية: الأجود، وهي كورة واسعة، كثيرة البلدان والعمارة، من نواحي نيسابور، تشتمل على ثلاثمائة وإحدى وعشرين قرية، أخرجت عددًا من العلماء، من أشهرهم: الإمام أبو بكر أحمد البيهقي صاحب كتاب المبسوط، ومع كثرة علمائها وأئمتها، فالغالب على أهلها مذهب التشيع. "ياقوت الحموي: "معجم البلدان، ج٦، ص٥٣٨".

(٢) البيهقي: تأريخ بيهق، ص٢٦٣، ٢٦٤.

(٣) أسفهسلار: قائد الجيش، من "سباه" بمعنى الجيش في اللغة الفارسية، و"سلار" بمعنى القائد، وفي الاصطلاح : لقب لكبير أرباب السيوف، وإلى صاحبه يرجع أمر الاجناد. "حسان حلاق، عباس صباغ: المعجم الجامع، ص١٨".

(٤) القزويني: التدوين، ج٢، ص٢٠٢.

(٥) سورة: الشعراء، الآية رقم (٢٢٧).

عن منبعه، ولا مطلعين على مصدره، فحذر هؤلاء من ذلك، ونهاهم عنه، موضحًا أن من يُقدم على ذلك بعد هذا التحذير فعليه وزره، وإثم ما يقترفه(١).

كذلك في سبيل سيادة الأمن، والأمان، والاستقرار، أقدم الصاحب بن عباد على زجر السفهاء من عوام الناس، خاصة من أهل قم(٢)، الذين اجترؤوا على ارتكاب المنكرات والمحظورات، وأقدموا على الهجوم على وفد يضم أكابر القواد وحاجبًا ومجموعة من الغلمان والخواص كانوا يجتازون بلدة قم، فغضب الصاحب لما علم بذلك، وأرسل يزجر هؤلاء عما اقترفوه، محذرًا من ارتكابه مجددًا، ومعاتبًا لأشراف قم ومشايخها من أهل العلم من عدم أخذهم على أيدي السفهاء وزجرهم، وكذلك توجه باللوم والعتاب إلى صاحب قم حينما لم يحاسب الجناة ويعاقبهم ليكونوا عبرة تُنهي غيرهم عن الإقدام على مثل ما أقدموا عليه(٣).

ومن قضائه الحوائج استجابته لتجار أصبهان برد بضائعهم التي سُرقت منهم، وكان قد هجم عليهم جماعة نهبوهم، وأخذوا بضاعتهم، وقد تم

(١) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص ١٧٥- ١٧٧.

(٢) قم: وهى كلمة فارسية، اسم لمدينة تذكر مع قاشان، وهي مستحدثة، لا أثر للأعاجم فيها، وأول من مصـــرها طلحة بن الأحوص الأشـــعري، وبها آبار عذبة، وآبنيتها بالآجر، وبها رباطات. "ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٩٧"، وأهل قم شيعة، تركوا الجماعات وعطلوا الجوامع إلى أن ألزمهم ركن الدولة بعمارتها ولزومها. "المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ص٢٦٧".

(٣) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص ١٧٧، ١٧٨، وانظر أيضًا: ص١٨٥، ١٨٦.

إلقاء القبض على هؤلاء في منطقة كرمان(١)، واستُرجع ما نهبوه، فلما علم أصحاب البضائع باسترجاعها، طلبوا من الصاحب ردها إليهم، فسعى في ذلك(٢).

رابعًا: الجانب المالي:

وقد ذكر أن عباد والد الصاحب سن قانونًا لأخذ الخراج من بلدة قم في ٣٣٥هـ/٩٤٦م، اشتهر وقتها بدستور عباد، فلما كان ابنه الصاحب في وزارته، دخل قم في ٣٧٣هـ/٩٨٣م وقرر الخراج شهريًّا بها(٣).

كان الصاحب دائم النصح لبني بويه، ودليل ذلك: مناصحته لفخر الدولة بعدم الإسراف في إنفاق الأموال على إعطاء الصلات والهبات، إذ أُثر عن فخر الدولة استكثاره من ذلك، خاصة للمقربين منه، وخاصة أبا العباس تاش صاحب خراسان(٤)، لوقوفه بجانبه أثناء الحرب ضد عضد الدولة، ومع حب الصاحب له أيضًا، وتقديره إياه، فإنه يُقدم في المقام الأول محبته لبني بويه، ورعاية مصالحهم، فكان لفخر الدولة ناصحًا.

ومنع الصاحب أن تُمس أموال اليتامى، فحفظ لليتيم ماله، وترفع عن أخذه، إذ لما رفع إليه إنسان رقعة يحثه فيها على أخذ مال اليتيم، وكان مالاً

(١) كرمان: ولاية بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، وهي معمورة، ذات بلاد وقرى ومدن واسعة، كثيرة النخل والزرع والمواشي."ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٤، ص٤٥٤".

(٢) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص ١٩٩.

(٣) بزرك الطهراني: نوابع الرواة، ج١، ص٦٣.

(٤) العتبي: اليميني، ص٧٩.

كثيرًا، كتب الصاحب على ظهر الرقعة: "النميمة قبيحة ولو كانت صحيحة، والميت رحمه الله، والمال ثمّره الله، والساعي لعنه الله"(١).

وذُكر أن الصاحب أمر بضرب عدة عملات في جرجان، وكانت إذا وقع منها واحد في يد مفلس يغتني(٢). وقد أهدى الصاحب لفخر الدولة في سنة ٣٧٨هـ/٩٨٨م دينارًا وزنه ألف مثقال، كتب له على أحد جانبيه شعرًا يمدحه فيه، وعلى الجانب الآخر سورة الإخلاص، ولقب الخليفة الطائع لله(٣)، ولقب فخر الدولة، واسم جُرجان، لأنه ضرب بها(٤)، مما يدل على حالة الوئام التي كانت سائدة بين فخر الدولة ووزيره الصاحب.

(١) ابن وادران، حسين بن محمد: تاريخ العباسيين، دولة الرشيد من بني العباس وبنيه، تحقيق: المنجي الكعبي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م، ص٢٩٩.

(٢) خواندمير: روضة الصفا، ص١٩٣.

(٣) الطائع لله: الخليفة أبو بكر عبد الكريم بن المطيع لله الفضل بن المقتدر، ولي الخلافة في ٣٦٣هـ/٩٧٣م، لكن كان الحل والعقد لمعز الدولة بن بويه، وكذلك عضد الدولة، فقطعت خطبته في العام الذي تولى فيه لمدة خمسين يومًا، ثم أعيدت إليه، فكانت مدة حكمه ثمانى عشرة سنة، ثم عزل، ومات فى ٣٧٣هـ/٩٨٣م. "الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ج ١٥، ص١١٨، ١٢٦".

(٤) ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص١٨٤١، ١٨٤٢، أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص١٢٥، العيني: مخطوطة عقد الجمان، ج١، لوحه ١٠٨.

خامسًا: دوره العلمي:

كان الصاحب ممن أجاد العلوم فأكثر منها(١)، يحب العلوم الشرعية(٢)، عالم في أصول الدين وفروعه، يقدم النص على العقل(٣)، صاحب بلاغة وفصاحة، سمح القريحة(٤)، إليه المنتهى في الشعر(٥)، ويبغض الفلسفة وما يشبهها من الأراء البدعية(٦).

ومما أثار الإعجاب به والتعجب منه أنه –مع تقلده العديد من المهام العظام، ونظره في أمور الملك– كان يناظر ويدرس، ويصنف ويملي الحديث(٧)، وكانت مجالسته للعلماء بأي مكان حل به، وبخاصة في أصبهان، والري(٨)، كما حضر إليه المحَدِّثون في جرجان(٩)، ومن محبته للحديث أثر

(١) القفطي: إنباه الرواه، ج١، ص٢٠٢.
(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، المكتبة العصرية، ج٨، ص١٧٣.
(٣) العاملي: أعيان الشيعة، مج٥، ص١١٤، ١١٥.
(٤) ابن الأنباري: نزهة الألباء، ص٢١٦.
(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج٤، ص١٧٠.
(٦) ابن كثير: البداية والنهاية، المكتبة العصـــرية، ج٨، ص١٧٣، العاملي: أعيان الشيعة، مج٥، ص١١٤، ١١٥.
(٧) ابن الجوزي: المنتظم، ج٩، ص٣٠، القزويني: التدوين، ج٢، ص٢٠٠، ٢٠١.
(٨) الثعالبي: يتيمة الدهر، مج٣، ص١٧٧، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٧٠٦.
(٩) السهمي، حمزة بن يوسف: تاريخ جرجان أو كتاب معرفة علماء أهل جرجان، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م، ص٥٠١.

عنه قوله: "من لم يكتب الحديث لم يجد حلاوة الإسلام"(١)، كما أثر عنه أنه جمع حُفاظ أصبهان، وأخذوا جميعًا في مذاكرته، والترجمة لشيوخه(٢).

قيل: بعدما سمع الصاحب الحديث عزم على الإملاء، فجمع أهل العلم وأعلن توبته أمامهم(٣) وقال: "قد علمتم قدمي في العلم، ... وجميع ما أنفقته من صغري إلى وقتي هذا من مال أبي وجدي .. ومع هذا فلا أخلو من تبعات أشهد الله وأشهدكم أني تائب إلى الله من ذنب أذنبته"، واتخذ لنفسه بيتًا، وسماه بيت التوبة، ثم أخذ خطوط الفقهاء بصحة توبته، وبعدها قعد للإملاء(٤)، وجعل المستملي الواحد لا يقوم بالإملاء حتى أضاف إليه ستة معه(٥).

(١) السمعاني: الأنساب، ج٤، ص٣١.

(٢) السيوطي: طبقات الحفاظ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ، ج١، ص٣٧٢.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج٩، ص٣١، الذهبي: سير أعلام النبلاء، المكتبة العصرية، مج٣، ص١٠٦٦، الصفدي: الوافي، ج٩، ص٧٨، ابن كثير: البداية والنهاية، المكتبة العصرية، ج٨، ص١٧٣.

(٤) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٦٩٤، ٦٩٥، مسفر الزهراني: نظام الوزارة، ص٨٦.

(٥) الصفدي: الوافي، ج٩، ص٧٨، السيوطي: بغية الوعاة، ص١٩٦، عبد الرحيم بن أحمد العباسي: معاهد التنصيص، ج٢، ص١٥٧.

ومن حب الصاحب للعلم، ما روي عنه أنه كان في أسفاره يستصحب معه حمل ثلاثين جملاً من الكتب، فلما وصل إليه كتاب الأغاني، استغنى به عنها(١).

وكان الصاحب بن عباد محبًّا لرجاله من ذوي العلم، وكان الصابي أكثرهم حبًا له، وأثر عنه قوله في حقه: "... ما بقى من أوطاري وأغراضي إلا أن أملك العراق، وأتصدر ببغداد، وأستكتب أبا إسحاق الصابي، ويكتب عني.... (٢)"، وكان قربهما معروفًا مشهورًا آنذاك، حتى قيل فيه: "... كان الصابي وابن عباد قلائد الدهر، وفرائد العصر، وكأن الله سبحانه أدبهما وخصهما بالفضل والأدب والشعر والرسائل"(٣)، كما ذكر أيضًا أن:" ... الصاحب كان يكتب كما يريد، والصابي كان يكتب كما يؤمر ... "(٤).

وكان يرحب بأهل العلم، يفسح لهم مجلسه وصدره، ويتآلفهم، فقد ذكر أنه ورد عليه رجل من أهل العلم، فقال له الصاحب: "يا أخى تكلم واستأنس واقترح وانبسط ولا ترع ... ولا يروعك هذا الحشم والخدم، والغاشية والحاشية .. فإن سلطان العلم فوق سلطان الولاية(٥).

---

(١) حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج١، ص١٢٩، القنوجي: أبجد العلوم، ج٢، ص٤٨٠، وهو كتاب العلامة الأصفهاني.

(٢) الصابي: أقسام ضائعة من تحفة الوزراء، ص٥٥، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص ٧١٤، ٧١٥، الصفدي: الوافي، ج٦، ص١٠٣.

(٣) ابن الأزرق، أحمد بن يوسف بن علي: تاريخ الفارقي، تحقيق: بدوي عبد اللطيف عوض، وزارة الثقافة، إدارة إحياء التراث، القاهرة، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م، ص٧٠.

(٤) الثعالبي: يتيمة الدهر، مج ٢، ص٢٣٧.

(٥) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٦٧٥.

وعندما بلغ الصاحب أن أحد عماله وهو أبو الربيع الأستراباذي(١) يستحجب عن الرعية، ويمنعهم من الاستماع إلى أبي بكر بن المقري(٢)، ويحجز بينهم، فقاموا بتقديم شكوى ضده، فكتب كتابًا وبخه فيه، وأمر بالرفق بمن يطلبون العلم، وخفض الجناح لهم، وبين أن المفروض في مثل هذا التعاون، وذلك للعمل على نقل السنن(٣).

ولإحاطته بفضل العلماء، لم يغضب الصاحب من القاضي عبد الجبار(٤) حينما لم يترجل له الأخير عند دخوله عليه، ومما قاله له: " ... أيها الصاحب، أريد أن أترجل للخدمة، ولكن العلم يأبى ذلك"(٥).

(١) أبو الربيع الأستراباذي: لم أستدل على ترجمته.

(٢) أبو بكر المقرئ: محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصـــم، محدث كبير، ثقة أمين، صاحب مسانيد وأصول، سمع بالعراق والشام ومصر ما لا يحصى كثرةً، توفي في ٣٨١هـ/٩٩١م، وله من العمر ست وتسعون سنة. "ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسـن بن هبة الله: تاريخ مدينة دمشـق، تحقيق: محب الدين أبو سـعيد عمر بن غرامة الغمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م، ج٥١، ص٢٢٣".

(٣) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٥١، ص٢٢٢، ٢٢٣.

(٤) عبد الجبار بن أحمد أبو الحسـن الهمذاني: قاضـى قضـاة الري، خلع عليه بوظيفة القضـاء في ٣٦٧هـــ/٩٧٧م، شـافعي المذهب، ومع ذلك هو من أئمة المعتزلة، وصـــاحب التصـــانيف في علم الكلام وأصـــول الفقه، وتوفي بالري في ســـنة ٤١٥هـــ/١٠٢٤م وقد جاوز التسعين."ابن الأثير: الكامل، دار الكتب العلمية، ج٨، ص١٤٢، ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣، ص٢٠٣".

(٥) ياقوت الحموي: معجم الآدباء، ج٢، ص٦٩٧، الصفدي: الوافي، ج٩، ص٨٠، عبد الرحيم بن أحمد العباسي: معاهد التنصيص، ج٢، ص١٥٥.

ومن فرط حبه لمجالس العلم والجالسين فيها، كان يخلع الخلع[١] على الفقهاء والشعراء، حتى قيل إن مبلغ عمائم الخز[٢] التي خلعها على الفقهاء والشعراء بلغت ثمانمائة وعشرين في موسم الشتاء[٣].

مصنفاته:

وله العديد من المؤلفات منها: كتاب "المحيط"، و"الكافي في الرسائل"، وكتاب "الأعياد، وفضائل النيروز"، و"الإمامة"، وكتاب "الوزراء"[٤]، و"الكشف عن مساوئ شعر المتنبي"، وكتاب "أسماء الله تعالى وصفاته"[٥]، ومن مصنفاته أيضًا: كتاب "الأنوار"[٦]، و"جوهرة الجمهرة"، و"نهج السبيل في الأصول"، وكتاب "نقض العروض" وكذلك كتاب "تاريخ الملك واختلاف

(١) الخلع: من حلل السلطان، يخلعها على من يريد تكريمه وتشريفه. "حسان حلاق، عباس صباغ: المعجم الجامع، ص ٨٥".

(٢) عمائم الخز: الخز، نوع من ثياب الإبريسم، وكذلك يُنسج من الصوف، وقيل: هو من الجواهر. "ابن منظور: لسان العرب، ج٥، ص٣٤٥".

(٣) ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، مج٢، ص٥٠.

(٤) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص٣٠.

(٥) بزرك الطهراني: الذريعة، ج٢، ص٦٩.

(٦) علي بن الطاووس: اليقين، ص٤٥٧.

الدول"[١]، كما صنف الصاحب كتاب الهداية والضلالة في ٣٦٤هـ/٩٧٤م[٢]، وله ديوان شعر، بالإضافة إلى العديد من الرسائل البديعة، والنظم الجيد[٣].

مؤلفات صُنفت له:

وقد صنفت له العديد من المؤلفات، حتى إن منها ما كان يحمل اسمه تعظيمًا وتقربًا له بما يحبه، مثل كتاب: "الصاحبي" في فقه اللغة العربية، حيث قال مؤلفه:" :.... وإنما عنونته بهذا الإسم، لأني لما ألفته أودعته خزانة الصاحب الجليل كافي الكفاة تجملاً بذلك وتحسنًا، إذ كان ما يقبله .. من علم وأدب مرضيًّا مقبولاً .. ولأن أحسن ما في كتابنا هذا مأخوذ عنه ومُفاد منه.."[٤].

كذلك أُلف للصاحب كتاب: "تهذيب التاريخ"، وقد صرح مؤلفه بذلك، فقال: "هذا كتاب قصدت به غرض دين ودنيا، ... أما غرض الدنيا، فأن أقيم

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٦٩٨، حاجي خليفة: سلم الوصول، ج١، ص٣١٩.

(٢) بزرك الطهراني: نوابع الرواة، ج١، ص١٨٧.

(٣) ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق: الفهرست، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ج١، ص١٩٤، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٦٩٨، ابن خلكان: وفيات الأعيان، مكتبة النهضة المصرية، ج١، ص٢٠٦- ٢٠٨، ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج١، ص٤٣٤، حاجي خليفة: سلم الوصول، مج١، ص٣١٩.

(٤) أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا: الصاحبي. تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٧م، ص١.

بفناء الصاحب الجليل أدام الله بهاء العلوم بدوام أيامه، من يخلفني في تجديد ذكري بحضرته، وتكرير اسمي في مجلسه..."[١].

أيضًا صُنف للصاحب كتاب: "عيون أخبار الرضا"، وفي ذلك يقول المؤلف: "... فصُنف هذا الكتاب لخزانته المعمورة ببقائه، إذ لم أجد شيئًا أثره عنده، وأحسن موقعًا لديه من علوم أهل البيت عليهم السلام لتعلقه بحبهم..." [٢].

وقد صنف أبو عيسى جبريل للصاحب بن عباد كتاب " الكناش الصغير" بناء على رغبة الصاحب، وهو يختص بذكر الأمراض التى تصيب الإنسان من الرأس إلى القدم، ولا يخلط بها غيرها، كما صنف أبو عيسى له "الكناش الكبير" وسماه الكافي، بلقب الصاحب بن عباد، لمحبته له، وسأله الصاحب عن أصل العناصر التي يتكون منها البدن؟ فقال: الدم، فسأله أن يعمل له في ذلك كتابًا، فعمل له فيه مقالة جيدة[٣].

(١) العاملي: أعيان الشـــيعة، مج٥، ص١٤٢، نقلاً عن مؤلف التهذيب علي بن عبد العزيز الجرجاني.

(٢) الصدوق: عيون أخبار الرضا، ج١، ص١٠٢.

(٣) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج٢، ص٥٠، ٥١.

هذا بالإضافة إلى كتاب: "تاريخ قم"(١)، وكتاب: "الديوان المعمور"(٢)، وكتاب "يتيمة الدهر"(٣)، فجميع ذلك تم تأليفه للصاحب، وجدير بالذكر أن الصاحب قد جعل دار كتبه وقفًا(٤).

سادسًا: آثاره المعمارية:

وكان الصاحب مهتمًا بأمر العمارة في البلاد، حريصًا على إصلاح ما تخرب منها، ومن ذلك أنه حينما بلغه خراب قنطرة النوبهار(٥)، جرد كتابًا يأمر فيه بإصلاحها، لما في إصلاحها من الاهتمام بمصالح الخلق، ولما ورد عليه الجواب بإصلاحها، أعلم بذلك مؤيد الدولة في حينه(٦).

ومن آثاره المعمارية أنه في ٣٧٣هـ/٩٨٣م أمر بتجديد عمارة سور قزوين بعدما أصابه من خراب، وقرر لأصل البلدة تسعة محلات مذكورة

(١) القمي: الكنى، ج٢، ص٤٠٧، بزرك الطهراني: نوابغ الرواة، ج١، ص٩٩.

(٢) العاملي: أعيان الشيعة، مج ٥، ص١٤٢، ١٤٣.

(٣) المازندراني: منتهى المقال، ص٦٥.

(٤) ياقوت الحموي: معجم الآدباء، ج٢، ص٤١٧.

(٥) قنطرة النوبهار: في موضعين، أحدهما: قرب مدينة الري، وهي قرية عامرة، والأخرى: نوبهار ببلخ، ومعنى النوبهار: البهار الجديد، لأن كلمة نو تعني الجديد، وكانت سنة الفرس إذا بنو بناءً حسنًا كللوه بالريحان، فلما بنوها جعلوا عليها أول ما يظهر من الريحان وكان البهار، فسميت نوبهار. "ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٣٠٧".

(٦) إسماعيل بن عباد: رسائل الصاحب، ص٧٢.

بأسمائها، وقد بنى الصاحب لنفسه في محلة الجوسق[١] عمارات عالية، عفت آثارها من بعده، فسميت مواضعها بمحلة صاحب آباد[٢]، وكان له أيضًا أبنية بأصبهان[٣].

سابعًا: بره وإحسانه:

روي عنه أنه في صغره إذا أراد الذهاب إلى المسجد، تعطيه أمه دينارًا ودرهمًا في كل يوم ليتصدق بهما على أول فقير يلقاه، فتربى الصاحب على هذا وأصبح دأبه، ولما كبر عهد إلى الخادم كل ليلة أن يضع تحت المطرح دينارًا ودرهمًا، ففعل هذا، حتى كانت ليلة وسهى الخادم أن يطرح الدرهم والدينار، فتطير الصاحب من هذا، وظن أن أجله اقترب، فأمر بأخذ الفِراش كله والتصدق به عوضًا عن الدرهم والدينار[٤].

كما كان الصاحب بن عباد يمد الموائد في شهر رمضان، وذكر أنه كان يُفطر في شهر رمضان كل ليلة ألف نفس[٥].

---

(١) محلة الجوسق: من مصانع الفرس بالكوفة."البكري: معجم ما استعجم، ج١، ص٤٠٤"، وهو من قرى النهروان من أعمال بغداد، وذكر أنه من قرى الري." ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص١٨٤".

(٢) القزويني: التدوين، ج٢، ص٢٩٣، العاملي: أعيان الشيعة، مج٥، ص١٣٩.

(٣) الخوانساري: روضات الجنات، ج٢، ص٣٠.

(٤) الصفدي: الوافي، ج٩، ص٧٨، عبد الرحيم بن أحمد: معاهد التنصيص، ج٢، ص١٥٤، العاملي: أعيان الشيعة، مج٥، ص١١٢، الخوانساري: روضات الجنات، ج٢، ص٢٣.

(٥) ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، مج٢، ص٥٠، عبد الرحيم بن أحمد: معاهد التنصيص، ج٢، ص١٥٦. وإذا صح هذا ولم يكن على سبيل المبالغة، ففيه دلالة ==

وقد عرف عن الصاحب إنفاقه للأموال في وجوه البر والصدقات، وصلة الأشراف وأهل العلم، والزوار من الغرباء، يراعى من بغداد والحرمين من أهل الشرف وذوي المأثر، والكتاب، والشعراء والفقهاء والزهاد، بما يحمله إليهم في كل سنة مع الحاج على مقاديرهم ومنازلهم(١)، وكان ينفذ إلى بغداد خمسة الآف دينار تفرق في الفقهاء وأهل الأدب(٢)، لم تقتصر هبات وخلع الصاحب على الفقهاء والشعراء، بل تعدت إلى الخدم والحاشية(٣)، فنالتهم هبات الصاحب وخلعه، فلم يكن يغفل عنهم.

ومن عطايا الصاحب بن عباد أنه لما مرض بالإسهال، كان يترك إلى جانبه عشرة دنانير للخدم، حتى لا يتبرموا منه، فكانوا يودون لو تدوم علته، ولما برئ تصدق بخمسين ألف دينار(٤).

على أن الصاحب كريمًا، معظمًا لشعيرة الصوم، مجبول على فعل الخير، محبًا له، حريصًا عليه مهما كلفه.

(١) الصابي: أقسام ضائعة من تحفة الأمراء، ص٥٢، ٥٣، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص ٦٩٣، ٧١٣، ٧١٤، القمي: الكنى، ج٢، ص٤٠٧.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج٩، ص٣١٧، الذهبي: سير أعلام النبلاء، المكتبة العصرية، مج٣، ص١٠٦٦.

(٣) ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، مج٢، ص٥٠، عبد الرحيم بن أحمد: معاهد التنصيص، ج٢، ص١٥٧.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، المكتبة العصرية، م٣، ص١٠٦٦، ابن كثير: البداية والنهاية، المكتبة العصرية، ج٨، ص١٧٣، عبد الرحيم بن أحمد العباسي: معاهد التنصيص، ج٢، ص١٥٧، العاملي: أعيان الشيعة، مج٥، ص١٣٨.

وقد كان الصاحب كثير العطاء، يقصده أصحاب الحوائج، ويروى في ذلك، أن أحد الرجال من أصحاب الحوائج كانت له حاجة أنشده شعرًا قال فيه:

أيا من عطاياه تُهدِي الغنى ... إلى راحتى من نأى أو دنا

كسوت المقيمين والزائرين ... كُسًا لم نَخَل مثلها ممكنا

وحاشية الدار يمشون في ... صنوف من الخز إلا أنا

فأمر له الصاحب بجبة من الخز، وقميص، وعمامة، ومنديل، إلى غير ذلك من الأكسية المصنوعة من الخز، وقال له: "... ولو علمنا لباسًا آخر يُتخذ من الخز لأعطيناكه"(١).

ولما شكا إليه أحد الوراقين –ويدعى أبا حفص الأصفهاني– فاقته، معبرًا عن ذلك بانصراف الفئران عن داره، وعده بالصلة قائلاً له: " ... بشر جرذان دارك بالخصب، وأمنها من الجدب، فالحنطة تأتيك في الأسبوع، ولست عن غيرها من النفقة بممنوع"(٢).

وكان الصاحب لا يستمع لقول يصرفه عن وجوه البر والإحسان ما دام أقدم عليه؛ فحينما ورد عليه أحد كتَّاب العراق ممن كان يعرفه، وشكا له

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٧٠١، ٧٠٢، ابن خلكان: وفيات الأعيان، مكتبة النهضة المصرية، ج١، ص٢٠٧، عبد الرحيم بن أحمد: معاهد التنصيص، ج٢، ص١٥٣، ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣، ص١١٥، الخوانساري: روضات الجنات، ج٢، ص٢١، ٢٢.

(٢) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص ٧٠٦، ٧٠٧، عبد الرحيم بن أحمد العباسي: معاهد التنصيص، ج٢، ص١٥٦.

سوء حاله، أحسن إليه الصاحب، وقلده عملاً، وأجرى له في كل شهر خمسمائة درهم، فحسده البعض على ذلك، وأعلموا الصاحب أن هذا الرجل معروف بالفساد، وأنه ينفق ما يعطيه إياه على المنكرات، فلم يستمع الصاحب إلى هذه الأقوال، ومضى يكمل ما أعان به الكاتب، بل زاده غلامًا يخدمه(١)، وهكذا لم يكن الصاحب يلتفت إلى ما يتردد من أقوال تثنيه وترده عن خير سيق إليه.

ومع كرمه وعطائه، ذكر الصاحب عن نفسه أنه عند دخوله أصبهان يجد من نفسه بخلاً وشحًا، فكان يقول: "..... من له حاجة فليسألنيها قبل دخولي إلى أصبهان، فإنني إذا دخلتها وجدت بها في نفسي شحًا لا أجده في غيرها"، إذ قد أشيع عنها البخل، فلا يُرى بها كريم(٢).

وبأخلاق الصاحب لين ورأفة على الإنسان والحيوان؛ فحينما قدم إليه شراب وأعلمه أحد جلسائه بأنه مسموم، واقترح عليه أن يجربه أولاً على من قدم له الشراب، رفض الصاحب معللاً بأنه لا يستحل ذلك، فلما أشير عليه بأن يجربه على كلب رفض كذلك معللاً عدم جواز التمثيل بالحيوان، واكتفى بأن طرد الساقي لكن بعد أن أقر له رزقه(٣).

(١) ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، مج٢، ص٢٤٨، ٢٤٩.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج٩، ص٣١، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢٠٩، الصفدي: الوافي، ج٩، ص٧٩، ابن كثير: البداية والنهاية، المكتبة العصرية، ج٨، ص١٧٣، القمي: الكنى، ج٢، ص٤٠٨.

(٣) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، مج٢، ص٦٦٨، ٦٦٩.

ثامنًا: وفاته:

ثم حانت نهاية الصاحب بن عباد، إذ لما بلغ سنه ستين سنة، انتابته أمراض الكبر، واعترته آفة الكمال(١)، وتزاحمت عليه العلل، وتوافد عليه لزيارته الكبراء والقادة، وعاده فخر الدولة في مرضه عدة مرات(٢)، فقام الصاحب بتوجيه نصيحة مودع إلى فخر الدولة، مشتملة على حثه على العمل على انتظام أمور الملك، والسير على القواعد المنظمة لذلك، والعدل، وحسن الذكر، وعدم العدول عن ذلك إلى غيره، فقال له: "قد خدمتك أيها الأمير خدمة استفرغت قدر الوسع، وسرت في دولتك سيرة جلبت لك حسن الذكر بها، فإن أجريت الأمور بعدي على نظامها، وقررت القواعد على أحكامها، نُسب ذلك الجميل السابق إليك، ونُسيت أنا في أثناء ما يُثنى به عليك، ودامت الأحدوثة الطيبة لك، وإن غيرت ذلك وعدلت عنه كنت أنا المشكور على السيرة السالفة، وكنت أنت المذكور بالطريقة الآنفة، وقدح في دولتك ما يشيع في المستقبل عنك"، فوعده فخر الدولة الالتزام بذلك(٣).

(١) الثعالبي: يتيمة الدهر، مج ٣، ص٢٥٧.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج٩، ص٣١.

(٣) الروزراوري: ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص٢٦١، ٢٦٢، ابن العمراني: الإنباء، ص١٨٤.

ثم ذكر أنه قد انعقد لسانه بعد ذلك، واختل عقله[١]، فلما كانت ليلة الجمعة، الرابع والعشرين من صفر، سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م، توفي الصاحب[٢] إسماعيل بن عباد[٣]، فأغلقت لوفاته مدينة الري، ولما وصل الخبر إلى بغداد فرش أكثر الخلق الأسواق وجلسوا[٤]، واجتمع الناس على باب قصره ينتظرون جنازته[٥]، فجهز، وأخرج تابوته للصلاة عليه، فلما ظهر تابوته، قامت الناس إعظامًا له، وصاحوا جميعًا صيحة واحدة، وقبلوا الأرض، ثم صلوا عليه، بحضور فخر الدولة، وكبار القادة، وعلق بالسلاسل في بيت، إلى أن نقل إلى تربة له بأصفهان[٦]، ".. فما رئي أحد وفى من الإعظام والإكبار بعد موته

(١) الأصفهاني: البستان، ص٢٧١، الرافعي: التدوين، ج٢، ص٢٠٢، النويري: نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٢٩.

(٢) أبو نعيم الأصبهاني: تاريخ أصبهان، ج١، ص٢٥٨، الجرديزي: زين الأخبار، ص٢٣٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان، مكتبة النهضة المصرية، ج١، ص٢٠٩، ٢١٠، ابن واصل: التاريخ الصالحي، ج٢، ص٨٦، الذهبي: تذكرة الحفاظ، من الطبقة الحادية عشرة إلى الطبقة الرابعة عشرة، ط٣، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م، ج٣، ص٩٨٩، بزرك الطهراني: الذريعة، ج٢، ص٦٩.

(٣) وهناك من قال إنه توفي في سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م."حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص٧٩٦، إلا أن المؤلف عاد وذكر في عدة مواضع من كتابه أنه توفي في ٣٨٥هـ/٩٩٥م. انظر: ج١، ص٣٠،٩٠١، ج٢، ص١٠٦٨، ١٢٧٨، ١٣٩١، ١٦٢١".

(٤) ابن العمراني: الإنباء، ص١٨٤.

(٥) الثعالبي: يتيمة الدهر، مج ٣، ص ٢٥٨، البيهقي: تاريخ بيهق، ص٢٦٤، ابن الدمياطي: المستفاد، ص٨٨، ٨٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٣٠.

(٦) الروزراوري: ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص٢٦٢، ابن الأزرق: تاريخ الفارقي، ص٧٠، اليافعي: مرآة الجنان، ج٢، ص٤٢٤.

ما وفيه الصاحب..."[١]، "... ولم يسعد أحد بعد وفاته كما كان في حياته غير الصاحب"[٢]، حتى قيل: "... إن كل من مات نقصت حرمته لعدم ما يرجى منه إلا ابن عباد، فإنه لما أخرج تابوته خر الديلم سجودًا له"[٣]، "وانقرض بموته أبهة الوزارة والرياسة، وعفت معالم السيادة والسياسة.." [٤].

وقد أنفذ فخر الدولة إلى دار الصاحب ثقاته وخواصه، فأخذوا ما فيها من خزائن، وحرم أبناءه، وصادر أمواله وممتلكاته، فجمعت أموال كثيرة[٥]، ووجدوا كيسًا فيه رقاع أقوام بمبلغ قدر بمائة وخمسين ألف دينار مودعة له عندهم، فاستدعاهم فخر الدولة، وطالبهم بالأموال، فأحضروها، وكان فيها ما هو بختم مؤيد الدولة، فثارت الشكوك في الصاحب، فنسبه البعض إلى الخيانة، حتى قيل: إنه أضاع الأموال، وأهمل الحقوق[٦]، والبعض ظن فيه خيرًا بأن مؤيد الدولة هو من أودع الصاحب هذه الأموال لتكون لأبنائه[٧].

---

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص ٧٠٣، النويري: نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٢٩.

(٢) القفطي: إنباه الرواة، ج١، ص٢٠٢، ابن خلكان: وفيات الأعيان، مكتبة النهضة المصرية، ج١، ص٢١٠، ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣، ص١١٥.

(٣) القفطي: إنباه الرواه، ج١، ص٢٠٢. ولا شك أن السجود له، وتقبيل الأرض له بعد موته، إلى غير ذلك مما فعله أكثر الناس بعد العلم بوفاته فهو مما لا يجوز، لأن فيه مخالفة للشرع.

(٤) القزويني: التدوين، ج٢، ص٢٠٢.

(٥) خواندمير: روضة الصفا، ص١٩٤.

(٦) الصفدي: الوافي: ج٦، ص١٣٠.

(٧) الروزراوري: ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص٢٦٢، ٢٦٣، ابن الأثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص١٨٦٢.

كذلك تم القبض على أصحاب الصاحب، وتتبع كل مسامحة جرت في أيامه باسمه(١).

وقد استُنكِر على القاضي عبد الجبار بن أحمد ما فعله بعد وفاة الصاحب بن عباد على الرغم من مساندة الصاحب له، وتوليه القضاء(٢)، إذ لما مات الصاحب بن عباد قال عبد الجبار: "أنا لا أترحم عليه لانه لم يُظهر توبته"، فطعن عليه في ذلك، واتهم بقلة الوفاء، وعدم رعاية ما سبق من الود والقرب، لكنه ذاق جزاء ذلك، فقد عزله فخر الدولة عن القضاء، وصادره على ثلاثة آلاف درهم(٣).

ولما مات الصاحب، أكثر الشعراء من رثائه(٤)، ومن ذلك:

يا كافي الملك ما وفيت حقك من مدح وإن طال تمجيد وتأبين

فت الصفات فما يرثيك من أحد إلا وتزيينه إياك تهجين

وقيل أيضًا:

والله والله ما أفلحتم أبدًا بعد الوزير ابن عباد بن عباس

إن كان منكم وزير فاقطعوا وزري أو كان منكم رئيس فاقطعوا راسي

كذلك ذُكر في رثائه:

(١) الروزراوري: ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص٢٦٤، ابن الاثير: الكامل، المكتبة العصرية، ج٢، ص١٨٦٢.

(٢) ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، ج٥، ص١٢٢.

(٣) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص ٧١٣، ابن خلدون: العبر، مؤسسة الأعلمي، ج٤، ص٤٦٦، خواندمير: روضة الصفا، ص١٩٤.

(٤) العتبي: اليميني، ص١١٧، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٧١.

أيها الباب لمَ علاك اكتئاب أين ذاك الحجاب والحجاب

قل بلا رهبة وغير احتشام مات مولاي فاعتراني اكتئاب

مات من كان يفزع الدهر منه فهو الأن في التراب تراب[1]

(١) العتبي: اليميني، ص١١٧.

الخاتمة

وبعد، فهذا الصاحب بن عباد، وهذا عصره، وتلك سياسته وروافدها الحضارية، وما تمثله من تطور وإضافة، والتي تكشف عن مدى نفوذه، وما أصبغ به الدولة البويهية، وذلك من خلال الأمراء الذين اتصل بهم، وقد توصل البحث إلى العديد من النتائج الآتية:

- اعتزاز المسلم وتمسكه بقوة وافتخار بالقرآن الكريم مصدر التشريع الإسلامي الأول الذي سبق في الدلالة على وظيفة الوزارة، ومهاماتها، وعظم أهميتها وخطورتها.
- التأكيد على أهمية وظيفة الوزارة، وأنها عماد الدولة.
- السعي إلى إسناد الوظائف إلى مستحقيها من الأكفاء، الذين تتوافر فيهم شروط الاستحقاق.
- ينقاد الجميع ولو كانوا ملوكًا إلى سديدي الرأي ولو كانوا وزراءً.
- التأكيد على الصلة الوثيقة بين علم التاريخ وغيره من العلوم الأخرى المساعدة له كالأدب، واستقراء التاريخ من خلال سبر أغوار الرسائل الأدبية.
- القرارات والأعمال الصائبة تأتى نتيجة التجارب، وممارسة المهام الوظيفية لحقب ممتدة، فتصقل صاحبها بالخبرة، وتعمق درايته.
- رفعة الأوطان تتأتى بإخلاص أهلها والمنتمين إليها في مناصبهم وأعمالهم.
- حاجة جميع أفراد المجتمع إلى البطانة الصالحة لتحقيق النجاح والفلاح.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانيًا: المخطوطات:

العيني، بدر الدين محمود(٨٥٥هـ/١٤٥١م):

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، السنوات ٣٣١-٤٣٠هـ، مخطوطة رقم ٢٩١١، محفوظة بمتحف طوب قابو، مكتبة أحمد الثالث، استانبول، تركيا، تاريخ النسخ:٨٣١هـ، بخط المؤلف، ج١، لوحه ٨٥.

ثالثًا: المصادر العربية:

ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم(ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م):

الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

الكامل في التاريخ، ط١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ/١٠٠٤م):

الصاحبي. تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٧م.

الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحمودي (٥٦٠هـ/١١٦٤م):

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

الأزدي، علي بن ظافر(ت ٦١٣هـ/ ١٢١٦م):

بدائع البدائه، وهو هامش على كتاب معاهد التنصيص لعبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي، القاهرة، ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م.

ابن الأزرق، أحمد بن يوسف بن علي (٥٧٢هـ/١١٧٦م):

تاريخ الفارقي، تحقيق: بدوي عبد اللطيف عوض، وزارة الثقافة، إدارة إحياء التراث، القاهرة، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.

ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد (٥٧٧هـ/١١٨١م):

تاريخ الأدباء النحاة المسمى نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ط١، جمعية إحياء مآثر علماء العرب، ١٩٣٠م.

الأنطاكي، يحيى بن سعيد (٤٥٨هـ/١٠٦٧م):

تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٩٩٠م.

إسماعيل البغدادي (١٣٣٩هـ/١٩٢٠م):

هدية العارفين. أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إستانبول، ١٩٥١م.

إسماعيل بن عباد (٣٨٥هـ/٩٩٥م):

رسائل الصاحب بن عباد، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م.

الأصفهاني، أبي حامد بن محمد بن محمد(٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م):

البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم(٦٦٨هـ/١٢٧٠):

عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: عامر النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م.

ابن أيبك الدواداري، أبو بكر بن عبد الله(٧٣٦هـ/١٣٣٥م):

كنز الدرر وجامع الغرر، الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق: صلاح الدين المنجد، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز(٤٨٧هـ/١٠٩٤م):

معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ.

ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف(٨٧٤هـ/١٤٧٠م):

النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ط٢، مصورة عن الطبعة الأولى، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث،١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

التنوخي، المحسن بن علي(٣٨٤هـ/٩٩٤م):

نشوار المحاضرة، وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧١م.

الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (٤٩٢هـ/١٠٣٧م):

تحفة الوزراء المنسوب للثعالبي، تحقيق: ابتسام مرهون الصفار، ط١، جدارا، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ١٤٢٩/٢٠٠٩م.

لطائف المعارف، تحقيق: إبراهيم الإبياري، حسن كامل الصيرفي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. تحقيق: إبراهيم صقر، مكتبة مصر، القاهرة، د. ت.

ابن الجوزى، أبو الفرج عبد الرحمن بن على (٥٩٧هـ/١٢٠٠م):

المنتظم في تواريخ الملوك والأمم، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله العثماني المعروف بكاتب جلبي (١٠٦٧هـ/١٦٥٧م):

سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، استانبول، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، ٢٠١٠م.

كشـــف الظنون عن أســـامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي(٨٥٢هـ/١٤٤٨م):

لســـان الميزان، تحقيق: غنيم بن عباس غنيم، ط١، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي (٥٦٢هـ/١١٦٦م):

التذكرة الحمدونية. تحقيق: إحســـان عباس، بكر عباس، ط١، دار صـــادر، بيروت، ١٩٩٦م.

أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد (٤١٣هـ/١٠٢٢م):

الإمتاع والمؤانسة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، والقاهرة، ١٩٤٤م.

مثالب الوزيرين. أخلاق الصـــاحب بن عباد وابن العميد، تحقيق: إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، سورية، ١٩٩٧م.

ابن خلدون، عبد الرحمن المغربي(ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م):

العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصـــرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

العبر وديوان المبتدأ والخبر في ذكر العرب والعجم والبربر ومن عاصـــرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط٥، دار القلم، بيروت، ١٩٨٤م.

ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(٦٨١هـ/ ١٢٨٢م):

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: إحســان عباس، دار الثقافة، لبنان، د. ت.

الخوارزمي، محمد بن العتاب (٣٨٣هـ/٩٩٣م):

رسائل الخوارزمي، تحقيق: موفق فوزي الجبر، التكوين للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٦م.

الخوانساري، الميرزا محمد باقر الموسوي (١٣١٣هـ/١٨٩٥م):

روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، المطبعة الحيدرية، طهران، ١٣٩٠هـ.

ابن الدمياطي، أحمد بن أيبك بن خير الله (٧٤٩هـ/١٣٤٨م):

المستفاد من ذيل تاريخ بغداد. تحقيق قيصر أبو فرح دي – فل، ط٢، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م):

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

تذكرة الحفاظ، من الطبقة الحادية عشرة إلى الطبقة الرابعة عشرة، ط٣، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوس، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ.

سير أعلام النبلاء، من الطبقة الثالثة عشرة حتى الطبقة الرابعة والعشرين من التابعين، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

العبر في خبر من غبر. تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط٢، الكويت، ١٩٨٤م.

الرازى، محمد بن أبى بكر بن عبد القادر(٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م):

مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، ط٢، لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

الروزراوري، محمد بن الحسين ظهير الدين (٤٨٨هـ/١٠٩٥م):

ذيل تجارب الأمم، ٣٦٩ إلى ٣٩٣هـ، مطبعة التمدن الصناعية، مصر، ١٣٣٤هـ/١٩١٦م.

ابن زهرون، أبو إسحاق إبراهيم بن هليل (٣٨٤هـ/٩٩٤م):

ديوان رسائل الصابي. تحقيق: إحسان ذنون الثامري، ط١، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، لندن، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م.

السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (٥٦٢هـ/١١٦٦م):

الأنساب. تحقيق: عبد الله عمر البارودي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨م.

السهمي، حمزة بن يوسف (٤٢٧هـ/١٠٣٥م):

تاريخ جرجان أو كتاب معرفة علماء أهل جرجان، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن(ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م):

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط١، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٢٦هـ.

تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

طبقات الحفاظ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (٥٤٨هـ/١١٥٣م):

الملل والنحل. تحقيق: محمد بن فتح الله بدران. ط١، مطبعة الأزهر، القاهرة، ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م.

الصابي، إبراهيم بن هلال (٣٨٤هـ/٩٩٤م):

المنتزع من التاجي، تحقيق: محمد صابر خان، ط١، طهران، ايران، ١٩٧٦م.

الصابي، الهلال بن المحسن (٤٤٨هـ/١٠٥٦م):

أقسام ضائعة من كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، جمعها: ميخائيل عواد، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

الوزراء، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء. تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٨م.

الصابي، محمد بن هلال غرس النعمة (٤٨٠هـ/١٠٨٧م):

الهفوات النادرة المسمى الهفوات النادرة من المغفلين الملحوظين والسقطات البادرة من المغفلين المحظوظين، تحقيق: القدس للدراسات والبحوث، ط١، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة ١٤٢٤هـ.

الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بابويه القمي (٣٨١هـ/٩٩١م):

عيون أخبار الرضا، ط٢، مؤسسة الأعلمي، بيروت – لبنان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك(ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م):

الوافي بالوفيات. تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(٣١٠هـ/٩٢٣م):

تاريخ الطبري المعروف بتاريخ الأمم والملوك، تحقيق، عبدأ . علي مهنا، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

ابن الطقطقي، محمد بن على بن طباطبا (٧٠٩هـ/١٣٠٩م):

الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية. دار المعارف، مصر، د. ت.

العاملي، محسن الأمين (١١٠٤هـ/١٦٩٢م):

أعيان الشيعة. تحقيق: حسن الأمين، ط ٥، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي (٩٦٣هـ/١٥٥٦م):

معاهد التنصيص، من كتاب شرح شواهد التلخيص، القاهرة، ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م.

عبد القاهر البغدادي، أبو منصور بن طاهر محمد (٤٢٩هـ/١٠٣٧):

الفرق بين الفرق، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

ابن العبري، غريغوريوس أبى الفرج بن هارون (٦٨٤هـ/١٢٨٥م):

تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٨٩٠م.

العتبي، محمد بن عبد الجبار (٤٢٧هـ/١٠٣٦م):

اليميني في شرح أخبار السلطان يمين الدولة وأمين الملة محمود الغزنوي، تحقيق: إحسان ذنون الثامري، دار الطليعة، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

ابن عساكر، على بن الحسن أبو القاسم الشافعي (٥٧١هـ/١١٧٥م)

تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة الغمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

ابن العديم، كمال الدين بن عمر بن أحمد بن هبة الله (٦٦٠هـ/١٢٦٢م):

بغية الطلب في تاريخ حلب. تحقيق: المهدي عيد الرواضية، ط١، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، لندن، ١٤٣٨هـ/٢٠١٦م.

علي بن الطاووس، السيد رضى الدين الحلي (٦٦٤هـ/١٢٦٦م):

اليقين باختصاص مولانا علي بإمرة المؤمنين، ويتلوه التحصين لأسرار ما زاد من أخبار اليقين، تحقيق: الأنصاري، ط١، مؤسسة الثقلين لإحياء التراث الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤١٠، ١٩٨٩م.

ابن العماد، عبد الحي أحمد بن محمد(ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م):

شـــذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق ١٤٠٦هـ.

ابن العمراني، محمد بن على بن محمد (٥٨٠هـ/١١٨٤م):

الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاســم الســامرائي، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

ابن العميد، جرجس المكين (٦٧٢هـ/١٢٧٧م):

تاريخ المكين، تاريخ المسلمين من صاحب شريعة الإسلام أبي القاسم محمد حتى الدولة الأتابكية، تحقيق: علي بكر حســن، دار العواصـــم، القاهرة، ٢٠١٠م.

أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل (٧٣٢هـ/١٣٣١م):

المختصر في أخبار البشر، ط١، المطبعة الحسينية، مصر، د . ت.

ابن قاضي شهبة، محمد بن أبي بكر(٨٥١هـ/١٤٤٧م):

طبقات الشــافعية. تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ.

القرمانى، أحمد بن يوسف (١٠١٩هـ/١٦١٠م):

أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ. تحقيق: أحمد حطيط، فهمي ســعد، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٢م.

القزويني، عبد الكريم بن محمد الرافعي (٦٢٣هـ/١٢٢٦م):

التدوين في أخبار قزوين. تحقيق: عزيز الله العطاردي، ط١، جمعية المخطوطات الإيرانية ونسر عطارد، ١٣٧٤هـ/١٩٩٧م.

القفطي، جمال الدين علي بن يوسف (٦٤٦هـ/١٢٤٨م):

إنباه الرواة على أنباه النحاة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

القلقشندي، أحمد بن علي(٨٢١هـ/ ١٤١٨م):

مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الســـتار أحمد فراج، ط٢، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٥م.

القنوجي، صديق بن حسن (١٣٠٧هـ/١٨٨٩م):

أبجد العلوم. تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.

ابن كثير: إسماعيل بن عمر القرشي(٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م):

البداية والنهاية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، د . ت.

الكرخي، إبراهيم بن حمد الأصطخري (٣٥٠هـ/٩٦١م):

مســـالك الممالك، وهو معول على كتاب صـــور الأقاليم للبلخي، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٣٧م.

المازندراني، محمد بن إسماعيل (١٢١٦هـ/١٧٩٦م):

منتهى المقال في أحوال الرجال. تحقيق: مؤســـســـة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، ١٩٩٥م.

المافروخي، المفضل بن سعد (٤٨٥هـ/١٠٩٢م):

محاسـن أصـفهان، تحقيق: عارف أحمد عبد الغني، ط١، دار كنان، دمشـق، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

الماوردي، علي بن محمد بن حبيب (٤٥٠هـ/١٠٥٨م):

الأحكام الســـلطانية والولايات الدينية . تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، الكويت، دار ابن قتيبة، ط١، سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

ابن مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب (٤٢١هـ/١٠٣٠م):

تجارب الأمم، مطبعة التمدن الصناعية، مصر، ١٣٣٣هـ/١٩١٥م.

المقدسي، محمد بن أحمد البشاري (٣٨٠هـ/٩٩٠م):

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق، ١٩٨٠م.

المقدسي، المطهر بن طاهر(٣٥٥هـ/٩٦٦م):

البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د . ت.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي(ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م):

اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا. تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٩م.

السلوك لمعرفة دول السلوك، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧م.

المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، ط١، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، لندن، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

ابن مماتي، أسعد بن المهذب (٦٠٦هـ/١٢٠٩م):

قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال عطية، ط١، مكتبة مدبولي، مصر، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري(٧١١هـ/١٣١١م):

لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، د . ت.

ناصر خسرو، أبو معين قبادياني (٤٦٥هـ/١٠٧٢م):

سفرنامة، تحقيق: يحيى الخشاب، ط٣، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م.

ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (٣٨٥هـ/٩٩٥م):

الفهرست، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله (٤٣٠هـ/١٠٣٨م):

تاريخ أصبهان، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠/١٩٩٠م.

النويري: أحمد بن عبد الوهاب(٧٣٣هـ/١٣٣٣م):

نهاية الأرب في فنون الأدب، ط٣، دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

الهمذانى، محمد بن عبد الملك (٥٢١هـ/١١٢٧م):

تكملة تاريخ الطبري. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٨١م.

ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم(٦٩٧هـ/١٢٩٧م):

التاريخ الصالحي، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء عليهم السلام والخلفاء والملوك، يؤرخ من بدء الخلق حتى ٦٣٦هـ. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

ابن وادران، حسين بن محمد، كان حيًا سنة (١١٧٢هـ/ ١٧٥٩م):

تاريخ العباسيين، دولة الرشيد من بني العباس وبنيه، تحقيق: المنجي الكعبي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.

ابن الوردي، زين الدين عمر(٧٤٩هـ/١٣٤٨م):

تاريخ ابن الوردي، ط٢، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

ابن أبي الوفاء، عبد القادر محمد القرشي (٧٧٥هـ/١٣٧٣م):

الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد، كتب خانة، كراتشي، د. ت.

اليافعي اليمني، عبد الله بن أسعد بن علي(ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م):

مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

ياقوت الحموي، أبو عبد الله(ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م):

معجم الأدباء، ارشـاد الأريب إلى معرفة الأديب. تحقيق: إحسـان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م.

معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، د.ت.

رابعًا: المصادر المترجمة:

ابن اسفنديار، بهاء الدين محمد بن حسن (٧٥٠هـ/١٣٤٩م):

تاريخ طبرسـتان، ترجمة: أحمد محمد نادي، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢م.

البيهقي، علي بن زيد (٥٦٥هـ/١١٦٩م):

تأريخ بيهق. ترجمة: يوسـف الهادي، ط١، دار إقرأ للنشـر، سـورية، دمشـق، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

الجرديزي، أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك (٤٤٣هـ/١٠٥١م):

زين الأخبار، ترجمة: عفاف السيد زيدان، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ٢٠٠٦م.

خواندمير، محمد بن خاوند شاه (٩٠٣هـ/١٤٩٧م):

روضـة الصـفا في سـيرة الأنبياء والملوك والخلفا، ترجمة: أحمد عبد القادر الشاذلي، ط١، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

الطوسي، نظام الملك الحسن بن علي (٤٨٥هـ/١٠٩٢م):

سير الملوك أو سياست نامة، ترجمة: يوسف بكار، ط١، دار المناهل، بيروت، لبنان، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

خامسًا: المراجع العربية:

آقا بزرك الطهراني:

الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ط٣، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

نوابع الرواة في رابعة المئات. تحقيق: علي تقي فنروي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م.

بدوي أحمد طبانة:

الصاحب بن عباد الوزير الأديب العالم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر،١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

جبران مسعود:

الرائد، معجم لغوي عصري، ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.

حسان حلاق، عباس صباغ:

المعجم الجامع فى المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م.

حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف:

العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٥م.

زين العابدين شمس الدين نجم:

معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، ط١، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

عباس القمي:

الكنى والألقاب، ط٥، مكتبة الصدر، طهران، ١٢٥٩م.

عصام الدين عبد الرؤوف الفقي:

دراســـات في تـاريخ الـدولـة العبـاســـيـة، دار الفكر العربي، القـاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٢م.

عمر رضا كحالة:

معجم المؤلفين، تراجم مصـنفي الكتب العربية، مؤسـسـة الرسـالة، دمشـق، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

قاسم عبده قاسم:

الأسواق المصرية في عصر سلاطين المماليك، ط١، مصر، عين للدراسات والبحوث، ١٤٣٤هـ/٢٠١٤م.

محمد غريط:

فواصـل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان. تحقيق: عبد القادر سـعد، عبد المجيـد خبـالي، ط١، دار الأمـان للنشـــر والتوزيع، الربـاط، المغرب، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

محمد مسفر الزهراني:

نظـام الوزارة في الدولـة العباســـيـة، ٣٣٤ – ٥٩٠هـــــ (العهدان البويهي والسلجوقي)، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.